IUGJEPS
Vol 29, No 3, 2021, pp 236-263

ISSN 2410-3179

مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات الانسانية

تاريخ الإرسال (2020-09-17)، تاريخ قبول النشر (2020-11-08)

وصف الطبيعة في شعر ابن اللبانة الداني الأندلسي
دراسة موضوعية فنية

اسم الباحث:

د. عمر فارس الكفاوين

اسم الجامعة والبلد:

قسم اللغة العربية وآدابها-كلية الآداب والفنون-جامعة فيلادلفيا-الأردن

* البريد الالكتروني للباحث المرسل:

E-mail address: Dromar.karak@yahoo.com

https://doi.org/10.33976/IUGJHR.29.3/2021/11

الملخص:

تتناول هذه الدراسة وصف الطبيعة في شعر ابن اللبانة الداني الأندلسي، وتعالج أنماطه معالجة موضوعية فنية، متناولة أغراضه: المديح، والغزل، والهجاء، والرثاء، والندب والطبيعة.

وقد رصدت الدراسة المظاهر الطبيعية التي وصفها الشاعر، وصنفتها إلى صنفين: الأول: مظاهر الطبيعة الصامتة، والآخر: مظاهر الطبيعة الصائتة (الحية).

ثم عالجت الدراسة الصورة الفنية التي رسم الشاعر من خلالها الطبيعة وعناصرها، وأهم الآليات التي اتكأ عليها لتجسيد تلك الصورة، كفنون التشبيه، والاستعارة، والأنسنة، والصور الحسية المعتمدة على: السمع، والصوت، والبصر، والشم وغيرها.

الكلمات المفتاحية: ابن اللبانة الداني، وصف الطبيعة، الصورة الفنية.

Description of nature in poetry of Ibn al-LabanaAddani al- Andalusi
Technical objective study

Abstract:

This study deals with the description of nature in the poetry of Ibn al-Labanah al-Andalusi: it tackles its patterns in an objective and artistic way, starting from his poetic texts, mixed with other purposes, such as eulogy, love poems, lampoon, and elegy, in addition to his independent texts describing nature and its manifestations.

The study monitored different natural appearances described by the poet, as classified into two types: the first represents the aspects of what is called (silent) nature, and the second describes the aspects of the (living) nature, and it studied a number of such appearances.

Then the study examined the artistic images and elements through which the poet drew nature, and the most important mechanisms that he relied upon to embody that image, such as the art of simile, metaphor, humanization, and sensory images based on hearing, sound, sight, smell and others.

Key words: Ibn al-LabanaAddani, description of nature, artistic image.

المقدمة:

وصف الطبيعة من الموضوعات الأثيرة التي عُني بها الشعراء على مر العصور، فمنذ الجاهلية حتى عصرنا الحاضر، كان الشعراء وما زالوا يرسمون صورًا للطبيعة ومظاهرها، سواء أكان ذلك من خلال إفرادها بقصائد مستقلة أم مزجها بأغراض أخرى، وهذا أمر طبيعي؛ فالشاعر ابن بيئته، يعيش فيها، ويحتك بمظاهرها، ويتنسم هواءها، ويفيد من بعضها في ممارسات حياته اليومية، ففي الجاهلية كان الشاعر يعيش في الصحراء، ويتأثر ويؤثر بها، وتنعكس أصداء ذلك التأثر والتأثير في شعره، من خلال تعبيره عن مشاعره تجاهها في شعره، واصفًا الصحراء، ورمالها، ونباتها وحيوانها، هذا الأخير الذي يعد بعضه وسيلة في السفر والتنقل والحروب، كالناقة والحصان، ثم إن الأطلال وما تشتمل عليه من عناصر، ما هي إلا مظهر من مظاهر الطبيعة، يصورها الشاعر، ويصور انعكاساتها عليه، وعواطفه تجاهها، من ألم، وحب وهجران.

وما من عصر من عصور الأدب إلا نظم شعراؤه في وصف الطبيعة، مرورًا بعد الجاهلية بالعصر الأموي، وعصر بني العباس، إذ ظهر فيه شعراء، كان وصف الطبيعة من أغراضهم البارزة، أمثال أبي تمام، وابن الرومي وغيرهما، ولعل هذا الغرض الشعري كان أوفر حظًّا في شعر شعراء الأندلس، تلك البقعة الخضراء الجميلة، المحاطة بالبحار من ثلاث جهات، فكل ما فيها يثير قرائح الشعر لوصفه، حيث حباها الله ببيئة فاتنة خلابة، فيها الماء، والأشجار، والأزهار، والحيوان، والطير وغير ذلك، ما وفر للشعراء مادة خصبة، تحفزهم على النظم والوصف، فظهرت قصائد ودواوين كاملة في وصفها، كوصف النوريات (الزهريات)، والروضيات، والمائيات وغيرها، ولعل أبرز الشعراء الذين عنوا بالطبيعة ووصفها ابن هانيء الأندلسي (ت362هـ/ 972م)، وابن زيدون (ت463هـ/ 1070م)، وابن حمديس (ت527هـ/ 1132م)، وابن خفاجة (ت533هـ/ 1138م) وغيرهم، وما يؤكد هُيام هؤلاء الشعراء بالطبيعة، أن بعضهم جعل الأندلس ببيئتها الخلابة كجنة الله في الأرض، يقول ابن خفاجة: [1]

يـا أهـلَ أنـدلسٍ لـلـهِ درّكُـــمُ	**مــاءٌ وظِـلٌ وأنــهـارٌ وأشـجـارُ**
مـا جنـةُ الخُلدِ إلا فـــي ديارِكُمُ	**ولـو تـخيّرتُ هـذا كـنتُ أخـتارُ**
لا تختشوا بعد ذا أن تدخلوا سَقَرًا	**فـليسَ تُدخلُ بـعد الجنةِ الـنّارُ**

ولعل ابن اللبانة الداني هو أحد أولئك الشعراء الأندلسيين الذين فاضت قرائحهم الشعرية بوصف الطبيعة وعناصرها؛ فالناظر في ديوانه يجد أن كثيرًا من أشعاره قد امتزجت بتلك الطبيعة وظواهرها المتنوعة، سواء الحية الصائتة أم الصامتة، وقد جاءت هذه الدراسة لتلقي الضوء على ذلك الوصف، منطلقة من إشكالية مفادها أن ابن اللبانة برع في أغراض الشعر، ولا سيما المديح، إضافة إلى الغزل، والهجاء، والرثاء والندب، وأنه لم يعتنِ بالطبيعة ووصفها في شعره، إنما دمجها في أغراضه دون إفرادها بقصائد مستقلة، بل إنه اتخذ من دمجه هذا وسيلة تساعده في تجسيد أغراضه.

وتأسيسًا على ما سبق، فإن الدراسة تسعى إلى تحقيق أهداف عدة، أهمها: رصد مظاهر الطبيعة في شعر ابن اللبانة، ومعالجة أشعارها فيها موضوعيًّا وفنيًّا، وإبراز ما جاء منها مندمجًا مع أغراضه الشعرية الأخرى، وما جاء منها منفردًا بقصائد ومقطوعات مستقلة، وإظهار دورها في تجسيد أغراض الشعر عنده، وهو دور مهم، لكنه لا ينفي قدرة الشاعر على وصف الطبيعة وسماتها، وإن كانت ممزوجة بمضامين أخرى، من ثم الكشف عن العناصر البنائية للصور الشعرية التي رسم الشاعر من خلالها الطبيعة وعناصرها.

ولعل الباحث اختار موضوع دراسته هذه؛ لكونه بحث _قدر استطاعته_ عن دراسة متخصصة بوصف الطبيعة في شعر ابن اللبانة، فلم يجد، وكل ما عثر عليه يتمثل بإشارات إلى ذلك الوصف، تتناثر عبر دراسات عامة لشعر الشاعر بوجه خاص، وللشعر الأندلسي بوجه عام، ثم إنه بعد ذلك ارتأى أن يفرد دراسة مستقلة، تعالج وصف الطبيعة في شعر ابن اللبانة موضوعيًّا

(1) ابن خفاجة، الديوان، ص364.

وفنيًّا؛ لتكون بمثابة دليل على أن الشاعر قد برع في وصفه الطبيعة، ويمكن من خلال ذلك أن يدخل ضمن قائمة الشعراء الأندلسيين الذين عُرفوا بوصفهم طبيعة بلدهم.

أما عن الدراسات السابقة، فلا يتوفر منها ما هو متخصص _كما ذكرنا سابقًا_ بوصف الطبيعة في شعر ابن اللبانة، إذ جاءت عامة، أو متخصصة بقضية في شعره غير الطبيعة، ومن أبرزها:

أولًا: دراسة عواطف الصواف (1997): **شعر ابن اللبانة الداني _ دراسة وصفية تحليلية**، وهي رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، السعودية. تناولت فيها الباحثة حياة ابن اللبانة بشكل موسع، وصفاته، وشاعريته وبواعثها، ثم درست أغراضه الشعرية من مديح، ورثاء، ووصف وغزل، وما يرتبط بها من سمات موضوعية وفنية، ثم درست البناء الفني لشعره، وآلياته كالصورة، واللغة والموسيقى، ثم تناولت موشحاته، وجوانبها الفنية والبنائية.

ثانيًا: دراسة ابتسام طبل (2010): **شعر ابن اللبانة الداني _ دراسة موضوعية فنية**، وهي رسالة ماجستير، جامعة طنطا، مصر. وقد تناولت عصر الشاعر من الناحية السياسية، والحياة الفكرية في عصري الطوائف والمرابطين، من ثم تناولت المرأة في المجتمع الأندلسي، ودورها في النهضة العمرانية، والولع ببناء القصور، وانتشار الغناء، ودور الفقهاء في المجتمع الأندلسي، وعالجت لغة الشاعر، والبناء التركيبي، والأساليب الإنشائية وكيف وظفها الشاعر، ودرست الموسيقى الداخلية في قصائده من جناس، وتكرار وحسن تقسيم، ثم موسيقى الحرف والكلمة.

ثالثًا: دراسة رغدة الزبون (2015): **شعر ابن اللبانة في الوفاء للمعتمد بن عبّاد _ دراسة موضوعية**، وهي بحث منشور في مجلة دراسات_ العلوم الإنسانية والاجتماعية، الجامعة الأردنية، المجلد 42، العدد 2. وهي دراسة موضوعية، وقفت فيها الباحثة على شعر الشاعر في المعتمد بن عبّاد، بعد محنته، ووقوعه في الأسر، ومضامين ذلك الشعر، وعرجت على مكانة ابن اللبانة عند المعتمد أيام ملكه، من ثم تحسره عليه بعد زوال ذلك الملك، ووفائه له من خلال حزنه على ما حل به وبأسرته.

رابعًا: دراسة حيدر كريم (2018): **بلاغة الصورة الشعرية في شعر ابن اللبانة الأندلسي _ مقاربة أسلوبية**، وهي بحث منشور في مجلة كلية التربية للبنات، العراق، المجلد 29، العدد 1. وقد تناولت مفهوم الصورة الشعرية قديمًا وحديثًا، ومستوياتها الأسلوبية والتركيبية، مطبقة أساليبها على شعر ابن اللبانة، كأسلوب الطلب، والنداء، والحذف وبعض الفنون البلاغية كالتشبيه، والاستعارة، والكناية وغيرها.

والناظر في هذه الدراسات، يجد أن بعضها جاءت عامة، تعالج شعره بأكمله موضوعيًّا وفنيًّا، مع إشارتها بشكل ضئيل إلى وصفه الطبيعة وبعض عناصرها، دون الخوض في تحليل أشعاره فيها، بل إنها في أغلب الأحيان ترصد بعض أبياته فيها، دون أدنى تحليل، وجاء بعضها الآخر متخصصًا بقضية موضوعية أو فنية بنائية في شعره، كدراسة شعره بالوفاء للمعتمد موضوعيًّا، أو دراسة صوره الشعرية بوجه عام، دون تخصيص صوره بالطبيعة، وعليه فإن دراستي هذه تتماز عمّا سبقها بأنها تخصصت في وصف الطبيعة في شعر ابن اللبانة، دون الخوض بالأغراض الأخرى، ومعالجة أشعاره في تلك الطبيعة من الناحية الموضوعية، والفنية من خلال دراسة صورها وبنائها الفني.

وقد اتكأ الباحث على المنهج الوصفي التحليلي في جانب الدراسة الموضوعي، متكاملًا مع المنهج الفني في أثناء تلك الدراسة، ومعالجة الصور الفنية للطبيعة، إذ لا يمكن عزل المنهجين عن بعضهما في مثل هذه الدراسات.

وقد انتظمت الدراسة في مقدمة، أشار فيها الباحث إلى أهدافها، ومشكلتها، وأسباب اختيار موضوعها، وبعض الدراسات التي سبقتها، ومنهجها، من ثم جاء المدخل ليعرف تعريفًا مقتضبًا بابن اللبانة، ومكانته، وأبرز أغراضه الشعرية، وخصائصها الفنية، ثم تدرجت الدراسة بثلاثة مباحث: الأول: جاء تحت عنوان: وصف الطبيعة ضمن الأغراض الشعرية، أما الآخر، فقد جاء تحت عنوان: وصف الطبيعة ضمن قصائد ومقطوعات شعرية مستقلة، أما الثالث، فقد جاء تحت عنوان: الصورة الفنية لوصف الطبيعة، وانتهت الدراسة بخاتمة، تضمنت أبرز النتائج التي توصلت إليها.

المدخل:

يعدّ ابن اللبانة _أبو بكر محمد بن عيسى بن محمد اللخمي الداني الأندلسي (ت507هـ/ 1113م)[2]_ من أبرز شعراء القرن الخامس الهجري في الأندلس، إذ عاصر ملوك الطوائف (امتدت فترة حكمهم من سنة 399هـ/ 1008م أو 403هـ/ 1012م إلى سنة 484هـ/ 1091م)، ونظم فيهم شعرًا، ولا سيما المعتمد بن عبّاد (ت488هـ/ 1095م)، ملك إشبيلية (من سنة 461هـ/ 1068م إلى سنة 484هـ/ 1091م)، حيث أكثر من مدحه، وكان وفيًّا له بعد إسقاط حكمه علي يد المرابطين، ونفيه إلى المغرب العربي، فضلًا عن أنه مدح غيره من الأمراء والحكام، أمثال ناصر الدولة مبشر بن سليمان (ت507هـ/1113م)[3] حاكم ميورقة[4]، والمعتصم بن صمادح (ت481هـ/ 1091م)[5] حاكم المرية[6] وغيرهما.

وقد نظم الشعر _إضافة إلى المديح_ في الأغراض كافة، كالرثاء، والهجاء، والغزل، ووصف الطبيعة وغيرها، كما أنه كان وشاحًا، نظم ما يقارب اثنتي عشرة موشحة، اتسمت بالرقة الموضوعية، والبناء الفني المحكم، وقد جمع شعره وحققه محمد مجيد السعيد في كتاب مطبوع، بلغ عدد صفحاته (170) صفحة، صدرت طبعته الثانية _التي اعتمدتها هذه الدراسة_ سنة 2008م، عن دار الراية للنشر والتوزيع، الأردن، عمان.

واتسم شعره بوجه عام ببساطة المعنى، وسهولة المأخذ، ورقة اللفظ، وسلاسة العبارة والبعد عن التكلف والتعقيد، وكان صادقًا في معاناته الشعرية، مترجمًا أحاسيسه وعواطفه الإنسانية بألفاظ يخلقها من نور قلبه، وينحتها من أحشائه[7]، وقد أشاد بمكانته الأدبية والشعرية عدد من أهل العلم والنقد، يقول عنه ابن بسام: "كان شاعرًا يتصرف، وقادرًا لا يتكلف، مرصوص المباني، منمق الألفاظ والمعاني، وكان من امتداد الباع والانفراد والانطباع كالسيف الصيقل الفرد، توحد بالإبداع وانفرد"[8]، وهو _على حد قول ابن خاقان_ مديد الباع، فريد الطباع، ملك للمحاسن مقادًا، وغدا له البديع منقادًا[9]، وهو كالسموأل في الشعراء؛ لأنه أجاد الشعر،

(2) ينظر ترجمته: ابن خاقان، قلائد العقيان ومحاسن الأعيان، ص776– 790. وابن بسام الشنتريني، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ق3، م2، ص666– 702. والمراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص154– 161. وابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج2، ص409– 416.

(3) ناصر الدولة: مبشر بن سليمان، حكم ميورقة، ودام بها ملكه، وأحسن تدبيرها، وقصده الشعراء مثل ابن اللبانة، وله فيه أمداح كثيرة، ولم يستطع الملثمون (وهم فرقة ثارت على حكمه)، أن يخلعوه منها، لكن بعد وفاته سنة 507هـ/ 1113م، صار الحكم لهم. ينظر: ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج2، ص467. والمقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، م4، ص259.

(4) ميورقة: جزيرة في شرقي الأندلس، بالقرب منها جزيرة يقال لها منورقة، كانت قاعدة ملك مجاهد العامري (ت436هـ/ 1044م)، وقد حكم دانية والجزائر الشرقية أبان فترة ملوك الطوائف في الأندلس. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، م5، ص245– 246. وعنان، دولة الإسلام في الأندلس، العصر الثاني (دولة الطوائف)، ص188– 200.

(5) المعتصم بن صمادح: محمد بن معن بن صمادح التجيبي الكندي، تولى إمارة المرية بعد وفاة أبيه سنة 443هـ/ 1051م، وكان أديبًا شاعرًا، وظل يحكم المرية إلى أن استولى المرابطون عليها سنة 484هـ/ 1091م، وهي السنة نفسها التي مات فيها ابن صمادح. ينظر: ابن الأبار، الحلة السيراء، ج2، ص81. وابن عِذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج3، ص168. وعنان، دولة الإسلام في الأندلس، العصر الثاني (دولة الطوائف)، ص164– 170.

(6) المرية: مدينة كبيرة من كورة إلبيرة من أعمال الأندلس، وكانت هي وبجانة بابي الشرق، منها يركب التجار، وفيها تحل مراكبهم، وفيها مرفأ ومرسى للسفن والمراكب، وقد أصبحت مملكة يحكمها بنو صمادح في فترة ملوك الطوائف، وظلت تحت حكمهم إلى أن سيطر المرابطون على الأندلس بعد معركة الزلاقة سنة 484هـ/ 1091م. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، م5، 119– 120. وعنان، دولة الإسلام في الأندلس، العصر الثاني (دولة الطوائف)، ص161– 165.

(7) ابن اللبانة الداني، الديوان، مقدمة المحقق، ص10.

(8) ابن بسام الشنتريني، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ق3، م2، ص666.

(9) ينظر: ابن خاقان، قلائد العقيان ومحاسن الأعيان، ص776.

فكان كالسحر الحلال[10]، وقد أعجب بشعره صاحب الخريدة، لما انماز به من رقة ورونق، إذ هو "أصفى من اللبن، وأحلى من الضرب، وأنفى للكرب، وأجلى للطرب"[11].

أما وصف الطبيعة، فمن المعلوم أنه ما من شاعر أندلسي إلا نظم فيه؛ فكل ما في الأندلس من مظاهر يشجع الشعراء على ذلك النظم، وذلك لما منحها الله من بيئة فاتنة خصبة، تحفز قرائح أولئك الشعراء، وتشجعهم على وصفها، ووصف عناصرها، من أشجار، وماء، وأطيار، وحدائق، وأزهار وغيرها، وعليه فقد غدت تلك الطبيعة مصدرًا مهمًا من مصادر الشعراء، يستمدون منها مضامينهم، وصورهم وخيالاتهم، بل إنها صارت أداة لهم، وسبيلًا مفضيًا إلى أغراضهم الشعرية من مدح، وغزل وغيرهما، فأحدثوا تمازجًا رائقًا بينها وبين موضوعاتهم تلك، فضلًا عن أن مظاهرها شكلت موضوعات منفردة، نظم فيها الشعراء قصائد مستقلة تجسدها من خلال لغة رقيقة، قادرة على تصويرها، وتصوير مشاعرهم تجاهها.

أما ابن اللبانة، فشأنه شأن شعراء الأندلس الذين افتُتنوا بطبيعة بلادهم، وما تثير في نفوسهم من شجون، نتيجة جمالها الآسر، ومظاهرها الخلابة، فانعكست عواطفهم الرقيقة تجاهها في شعرهم، وكان ابن اللبانة مثلهم، يصف الطبيعة ومفاتنها في قطع شعرية ممزوجة مع أغراض أخرى أو مستقلة بها، وارتبط شعره هذا بانفعالاته وأحاسيسه نحوها، ما جعله يوحي بالحيوية والرقة، وقد "وصف الكثير من مظاهرها التي عاينتها حواسه، وصورها تصويرًا ظاهريًّا حسيًّا، وصف الروض، والنهر، والورد، والبرق، والكهف، واليوم الغائم، والطيف، والسفن، والفرس، والحيوانات الأخرى وغير ذلك، وجاء وصفه طبيعيًّا، بعيدًا عن الصنعة، والتصنع والمغالاة، مرتبطًا بالحواس"[12].

وقد جاء وصف الطبيعة في شعره وفق نسقين: الأول: مزج فيه الوصف بأغراض الشعر الأخرى، وخاصة المدح، والآخر: جاء وصفه لها ضمن قصائد ومقطوعات مستقلة، أفردها لوصف بعض مظاهر تلك الطبيعة، وهي تشكل نسبة قليلة، إذا ما قورنت بتلك التي تمزج بين الطبيعة والموضوعات الأخرى.

المبحث الأول: وصف الطبيعة ضمن الأغراض الشعرية الأخرى

إن الظاهرة البارزة في شعر ابن اللبانة في وصفه الطبيعة، تتمثل بالمزج بينه وبين الأغراض الأخرى: المدح، والغزل، والهجاء، والرثاء وغيرها، وقد طغت هذه الظاهرة على شعره بشكل لافت، ويستطيع المتأمل في ذلك الشعر القول إنه ما من قصيدة له إلا ضمنها وصفًا للطبيعة _إلا ما ندر_ بمظاهرها المختلفة، من أنهار، وبحار، وحيوان، وطير، وأشجار، وأزهار، وجبال، وليل، ونهار، وسماء، ونجوم، وأمطار، وبرق، ورعد، ورياح، وقمر، وشمس وغير ذلك.

وقد اتخذ من ذلك المزج وسيلة لتجسيد أفكاره ومعانيه، فغدت الطبيعة بعناصرها المتنوعة الأداة التي تجعله يدخل إلى تلك الأغراض، وتساعده في تمثلها، وتمثل صورها، من خلال ذلك الربط المحكم بينها وبين موضوعاته الشعرية، دون أن يشعر المتلقي أو القارئ أو المستمع بالانقطاع، أو الانفصال بين الطبيعة والغرض الرئيس للقصيدة، ما يجعلنا نصف شعره بالترابط، والوحدة بين موضوعات القصيدة الواحدة، التي تتضمن في أحيان كثيرة الإشارة إلى أفكار متعددة، تشمل وصف الطبيعة وظواهرها، من ثم مزجها بالفكرة الرئيسة.

والناظر في شعره يدرك أن أبرز مظاهر الطبيعة، تتمثل بما يلي:

أولاً: مظاهر الطبيعة الصامتة:

ويقصد بها "الأرض ومشتملاتها، من بحار، وأنهار، وأودية، ورياض وحقول، وما يرتفع في سمائها من أفلاك، ونجوم، وكواكب، وشمس وقمر، وما ينتج عن علاقاتها بالشمس والقمر من خسوف، وكسوف، وضياء، وإشراق، وليل، ونهار، وفجر،

(10) ينظر: ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج2، ص411.
(11) العماد الأصفهاني، خريدة القصر وجريدة العصر، قسم شعراء المغرب والأندلس، ج2، ص123.
(12) ينظر: الصواف، شعر ابن اللبانة الداني _ دراسة وصفية تحليلية، ص157– 158.

وحرّ، وبرد، وسحاب، ورعد، وبرق، ومطر، وعواصف ورياح، وما يزينها، ويمد أهلها بالغذاء من أشجار، وأعشاب، ونخيل، وكروم وأزهار"[13]، وقد استثمر ابن اللبانة عددًا كبيرًا من هذه المظاهر، ومزجها في سياقاته الشعرية، في الأغراض المتنوعة، وكانت تتعالق مع المضامين والأفكار وتتعاضد؛ لتجسد الغرض الرئيس، ومن أهم تلك المظاهر ما يلي:

أ. الربيع وما يشتمل عليه من رياض وورود وأشجار

وصف ابن اللبانة الربيع بظواهره وعناصره المتنوعة من أشجار، وأزهار، ورياض تكسوها الخضرة والجمال، وقد جاء وصفه لها ضمن أغراضه الشعرية، إذ يخصص في بعض الأحيان قصيدة للمديح، لكنه يستطرد فيها بوصف الطبيعة، حتى تبدو كأنها لوحة وصفية لتلك الطبيعة وعناصرها، ومن ذلك وصفه الربيع وورود في قصيدة مدح بها مبشرًا ناصر الدولة، يقول:[14]

راقَ الرّبيعُ ورقَّ طبعُ هوائِهِ ... فانظرْ نضارةَ أرضِهِ وسمائِهِ
واجعلْ قرينَ الوردِ فيه سُلافةً ... يحكي مُشعشعُهَا مُصَعَّدَ مائِهِ
لولا ذبولُ الوردِ قلتُ بأنهُ ... خدُّ الحبيبِ عليه صِبغُ حيائِهِ
هيهاتَ أينَ الوردُ من خدِّ الذي ... لا يستحيلُ عليكَ عهدُ وفائِهِ
الوردُ ليسَ صفاتُهُ كصفاتِهِ ... والطّيرُ ليسَ غناؤُها كغنائِهِ

إن هذا الربيع، وتلك الورود "تذكر الشاعر بوجنة المحبوب، وخدّه الذي يعلوه الحياء، فيزيده نضارة، ورقة شبيهة بنضارة الورد ورقته"[15]، وبهذا فإنه قد مزج الوصف بالمدح، وجعل هذا الوصف مدخلًا لقصيدته المدحية ومطلعًا لها، مستثمرًا جمال الربيع وأزهاره، التي تصلح لئن تكون مستهلًا للمديح، بل إنها أداة مهمة للشاعر في إضفاء أجمل الصفات على الممدوح، لجعله كاملًا من الناحيتين الحسية والمعنوية، ولعل استثماره جمال الورد جاء لتحقيق هذه الغاية، فالممدوح من الناحية الحسية والشكلية جميل، حيث وجهه ووجنته كالورد، وهو وجه نضر، سمح، حسن الطالع، أما من الناحية المعنوية، فإنه يتسم بالحياء والرقة، ما زاده جمالًا وبهاءً، وقد اكتسب ذلك من الورد أيضًا، إذ رقته كرقة الورد، وحياؤه مستمد منه.

ولكي يؤكد هذه الصفات، فقد كررها، إذ يقول:[16]

هو صبحٌ وربيعٌ وحيا ... يُجتلى أو يجتبى أو يُجتدى

فالممدوح هو الربيع بحد ذاته، وقد أكسبه هذا الربيع صفة الحياء أيضًا، إضافة إلى صفة الكرم والعطاء، إذ إنه يحقق طلب كل من يطلبه أو يستجديه، إنه كالربيع الذي يهب الإنسان والحيوان الغذاء والجمال.

ويجعل ابن اللبانة وصف الربيع ورياضه مقدمات لقصائده المدحية في أحيان كثيرة، وربما أن ذلك جاء بفعل نفسه ومشاعره التي تعشق الطبيعة ومفاتنها، ثم إنها ترقق المدح الذي هو غايته، وتجعله لطيفًا، يستمد صفاته من الطبيعة، فتغدو تلك الطبيعة معينة للشاعر في رسم أجمل اللوحات المدحية، وإسباغ أحسن الصفات وأرقها على الممدوح، فها هو يخاطب "أبا الفضل بن شرف"[17] مادحًا إياه، فيفتتح القصيدة بقوله:[18]

---

(13) نوفل، شعر الطبيعة في الأدب الأندلسي، ص24. وينظر: الركابي، الطبيعة في الشعر الأندلسي، ص12– 13.

(14) ابن اللبانة الداني، الديوان، ص21.

(15) الصواف، شعر ابن اللبانة الداني _ دراسة وصفية تحليلية، ص170.

(16) ابن اللبانة الداني، الديوان، ص22.

(17) هو جعفر بن محمد بن أبي سعيد بن شرف الجذامي القيرواني، أصله من القيروان، ويكنى أبا الفضل، يعد من كبار شعراء المغرب والأندلس، وله مصنفات منها: كتاب الزمان، وكتاب عقيل وعليم، وكتاب في النحو، وآخر في العروض، هاجر أبوه من القيروان إلى الأندلس، واستوطن برجة من ناحية المرية، وفيها ولد أبو الفضل، ونشأ وترعرع، وفيها سطع نجمه، وطلق شعره، وقد وصفه البعض أنه حكيم فيلسوف، توفي سنة 534هـ/ 1139م. ينظر: ابن بسام الشنتريني، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ق3، م2، ص867. وابن بشكوال، كتاب الصلة، ق1، ص130– 131. وابن دحية، المطرب من أشعار أهل المغرب، ص66– 67. والمقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، م3، ص395.

يا روضةً أضحى النّسيمُ لسانَهَا يصفُ الذي تُخفيه من آراجِهَا

لقد غدا هذا الممدوح روضة غنّاء، ولسانه هو النسيم العليل الذي يفوح بالرائحة والأرج الطيب، وفي هذا ربط لطيف بين الممدوح والروضة والنسيم، إذ إن الممدوح جميل كالروضة الخضراء، ولسانه لا ينطق إلا الخير والحديث الحسن؛ لذا فإنه كالنسيم العليل الذي يجلب الروائح والعطور التي تنتج عن أزهار تلك الروضة الجميلة.

ولا يقتصر وصف الروضة عنده على فن المديح ومزجه به، إنما يستثمره في الرثاء، مستغلًّا صفات العطاء والكرم الذي تقدمه الروضة المثمرة من غذاء، وجمال وهواء عليل، يقول في إحدى مرثياته:[19]

ابكوا المؤيدَ بالنّجيعِ فما قضى حقَّ المكارمِ مــن بكاه بدمعهِ
كُنّا بـه فـي روضِ عزٍّ مثمرٍ نـجني الأماني غضةً من نبعهِ

إنه يتحسر على المرثي، ويطلب من الناس أن يبكوا معه؛ لأنه ومن حوله كانوا يعيشون في كنف ذلك المرثي بهناء، ورغد عيش، فهو لا يمثل روضة واحدة، إنما مجموعة رياض (كُنّا به في روض عز مثمر)، تتسع للناس جميعًا، وهي رياض مثمرة، تفيض بالعز، والكرم والعطاء، بل إن هذا المرثي نبع يرده كل ظمآن، وطالب حاجة أو أمنية، وهو السبيل لتحقيق الأماني.

إن هذا المزج بين الروضة والمرثي، القائم على التصوير يسهم _إلى حد كبير_ في تجسيد صفات ذلك المرثي، والتحسر على فقدانه، وفقدان أعطياته وعزّه، بل إن الروضة غدت الوسيلة التي ساعدت الشاعر في تصوير معاناته وحزنه نتيجة فقده المرثي، إذ هي روضة عزّ، كان يتفيأها الشاعر في حياة المرثي، لكن ذلك العز زال بزواله.

ثم إنه في أحيان كثيرة يستدعي عناصر الربيع والرياض، المتمثلة بالورود والأشجار وغيرها، ففي إحدى مدائحه يستثمر أحد أنواع الأزهار (الريحان):[20]

يتنفسُ الإصباحُ والرّيحانُ من حركاتِ معطفهِ وحُسنِ رُوائهِ

إن هذا الريحان يشبه كائنًا حيًّا يتنفس، ليستنشق الهواء من معطف الممدوح (ردائه) ومنظره الحسن، فيكسب الرائحة والعبق الطيب، وبهذا يكون الشاعر قد عكس التشبيه وقلبه، إذ جعل الريحان يستمد الرائحة والأرج من الممدوح، بدلًا من أن يستمدها الممدوح منه، وما هذا إلا لجعل ذلك الممدوح في أبهى الصور وأجملها.

إلا أن هذا الريحان يتحول إلى الذبول والموت، وذلك عندما يضمنه الشاعر في الرثاء، حيث يغدو ككائن حي ذوى ومات بموت المرثي:[21]

بعدَ النّعيمِ ذوى الرّيحانُ حينَ رأى ريحانَكَ الغضَّ يذوي بعد ما نعما

وعليه يكون الريحان أداة من الأدوات التي استغلها الشاعر لتجسيد رؤاه المدحية والرثائية، وذلك من خلال استثمار رائحته الطيبة في المدح، وذبوله في الرثاء، وعلى الرغم من أن الشاعر يسعى إلى تأكيد أفكاره في الغرضين من خلال صفات الريحان، إلا أنه يمكن القول إنه وصف هذا النوع من الورود بطريقة غير مباشرة، إذ هو ذو رائحة لطيفة، ولكنه في الوقت ذاته كائن حي، يذبل ويموت، شأنه شأن جميع الكائنات.

أما في الهجاء، فإنه يلجأ إلى ما يناسبه من الأشجار، كشجر الدفلاء المرّ، ذي المنظر الحسن والمجنى القبيح، يقول هاجيًا:[22]

(18) ابن اللبانة الداني، الديوان، ص42.
(19) المصدر السابق، ص92.
(20) ابن اللبانة الداني، الديوان، ص21.
(21) المصدر السابق، ص122.
(22) المصدر نفسه، ص138.

يروقُكَ فـي أهلِ الجمالِ ابنُ سيّدٍ كترجمةٍ راقت ولـيسَ لـها معنـى
حكى شجر الدّفلاءِ حسنًا ومنظرًا فما أحسنَ المجلى وما أقبحَ المجنى

فلم يجد أفضل من شجر الدفلاء ليستغله وصفاته، ويضفيها على المهجو، إذ منظر المهجو لا يعكس مخبره، وكذلك الدفلاء شجرة جميل ذات ورد مزهر، ولون جميل، إلا أن ثمارها مرة، ولا فائدة منها، وبهذا فإنه استغل صفة هذا الشجر، وأسبغها على المهجو، إضافة إلى أنه بأسلوب غير مباشر بيّن للمتلقي أوصاف هذا الشجر، جميل المنظر قبيح الثمر.

ب. الماء وما يتضمنه من بحار وأنهار وندى وغيوم

معلوم أن الشاعر يصف ما حوله من أشياء ومظاهر، ويكون للبيئة المحيطة به أثر كبير في شعره، فهناك في الجزيرة العربية طغت الصحراء وعناصرها على الشعر، وهذا أمر طبيعي؛ لأن الشاعر ينظر حوله فلا يرى إلا الرمال، والجبال والأودية، فكان طبيعيًّا أن يتجسد ذلك كله في شعر عرب الجزيرة، أما في الأندلس، فالأمر مختلف؛ إذ البيئة الخضراء، والأنهار والبحار، والشاعر بحسه المرهف يتأثر بهذا كله، وينعكس هذا التأثير، ويُترجم إلى أشعار، تعبر عن الأحاسيس والمشاعر تجاه تلك الطبيعة الخلابة.

ولعل الماء وما اشتمل عليه من بحار، وأنهار، وغيوم وغيرها، كان من أبرز تلك المظاهر الطبيعية التي انعكست أصداؤها في شعر شعراء الأندلس، وابن اللبانة منهم، حيث نجده يستثمر العناصر المائية في أغراضه المتنوعة، ومن أبرز تلك العناصر (البحر)، وهو من أوسع أمكنة الماء وأهمها، وقد تمثله الشعراء على مر العصور، إذ إن الممدوح أو المرثي عندهم بحر في الكرم والسخاء، فضلًا عن أنه _أي البحر_ مخيف بأمواجه وظلماته، يقول ابن اللبانة مادحًا:[23]

وبحرٍ سوى بحرِ الهوى قـد ركبته لأمرٍ كـلا البحرينِ مركبُه صعبُ
لـه لججٌ خضرٌ كما اخضرت الرُّبـى إلـى أُخَرٍ بيض كما ابيضت الكثبُ
تهوى بين عصفِ الرّيحِ والموجِ مثلما هوى بين أضلاعِ المُعنى بـه قلبُ

إن الممدوح ما هو إلا بحر عشقه الشاعر، فركب بحرين صعبي المنال، بحر الممدوح وبحر الهوى، ثم يستثمر صفات البحر الحقيقي من لجج، وأمواج، وعصف رياح، لكي يتخذ منها وسيلة للتعبير عن حبه للممدوح، حيث إن لجج البحر (الممدوح) وأعماقه ليست مظلمة كما البحر الحقيقي، إنما هي خضراء كاخضرار الربى، وبعضها صافٍ لونها كبياض كثبان الرمل، وعليه فإن حاجز الخوف، وصعوبة ركوب بحر الممدوح قد انكسرت عند الشاعر، إذ كشف سريرته التي هي خضراء وبيضاء سهلة المنال، وليست سوداء مظلمة مخيفة، كتلك التي في البحر العادي، ثم إن هوى الشاعر للممدوح عاصف، كتلك الرياح التي تعصف الأمواج، وفي هذا دليل على شدة حبه للممدوح، وتعلقه به، حيث تعصف بين أضلاعه نيران العشق، إذن فإن الأبيات توحي بالمقارنة بين بحرين، بحر حقيقي يتصف بصعوبة الركوب، واللجج المظلمة، والرياح العاصفة التي تثير الأمواج، وبحر مجازي، هو الممدوح نفسه، وهو بحر يتصف بصعوبة الركوب أيضًا؛ لكونه ذا مكان عالية، إلا أن نفسه وأعماقه ليست سوداء كما البحر الحقيقي، إنما خضراء وبيضاء سهلة الوصول إليها، وكل هذا أدى بالشاعر إلى الهيام به، فأصبح مُعنىً في عشقه، تموج بين ضلوعه أحاسيس ومشاعر، يحركها الهوى كما الأمواج في البحر تحركها الرياح.

والممدوح عنده أيضًا نهر، أحاطت به الخضرة والأعشاب فزينته، يقول في مدح المعتمد بن عبّاد:[24]

وما هو نهرٌ أعشبَ النبت حوله ولكنه سيفٌ حمائله خضرُ

إنه يستدعي صورة النهر والحشائش الخضراء حوله، ليسبغها على ممدوحه الذي يخال للناظر بأنه نهر ماء لامع، محاط بالأعشاب الخضراء، لكنه في الحقيقة هو كالسيف في قوته، وحدته ولمعانه، تحمله حمائل خضراء اللون، ما جعله أكثر جمالًا.

(23) ابن اللبانة الداني، الديوان، ص27– 28.
(24) ابن اللبانة الداني، الديوان، ص65.

ويأتي النهر في سياق الندب، إذ يجعل ابن اللبانة من المعتمد نهرًا، كان يشرب عنده أنواعًا منوعة من الأشربة، ويصل في بعض الأحيان إلى الثمالة، وما هذا إلا كناية عن العز الذي كان يحياه أيام ملك المعتمد، ولكنه زال بزوال ذلك الملك:[25]

نهرٌ شربتُ بعبريهِ على صورٍ كانت لها فيَّ قبل الرّاحِ سَوْرات

يأتي بالنهر ليدلل من خلاله على كرم المعتمد، وجمال مجلسه الذي يعج بالمسامرة، وما تتطلبه من شراب وغيره، فيكون النهر هو مصدر اللذة والأنس، وهو المعتمد ذاته، إلا أن هذا فَنِيَ، وانتهى بفناء المعتمد، وزوال ملكه.

وتأتي الغيوم والمزن في السماء كعناصر مائية، تمثل مصدر الماء والندى، ليستدعيها ابن اللبانة في أنساقه الشعرية، ويجعلها وسيلته في تجسيد رؤاه وأفكاره، وتأكيد معانيه وتتميمها، والسحب قد تكون ماطرة، جالبة الخير والغيث، إلا أنها أحيانًا تكون مجرد بخار لا ماء فيه، وعليه لا جدوى منها، فهي كصاحب ميورقة، وقد أصابه المرض:[26]

والسّحبُ صاحبها ذُعرٌ فما نشأت ولا استهلَّ لها فوق الرُّبى مطر

فكأن هذه السحب قد أصابها الخوف، فنشف ماؤها، أو أنها نتيجة ذلك لم تتشكل أصلًا، ما أدى إلى عدم نزول المطر فوق الربى، وانعدام الخير والعشب، وهكذا هو صاحب ميورقة، وقد ألمّ به داء ومرض، فانعدم العطاء والخير بمرضه؛ لأنه أخّره عن ذلك العطاء، وأقعده الفراش، فكيف يعطي وهو غير قادر على الحركة، وبهذا فإن الشاعر لم يشر إلى صفة الماء والمطر المتمثلة باخضرار الأرض وعطائها، إنما أشار إلى السلبية المتمثلة بالسحب المعطلة التي لا ماء فيها، ولا ينتج عنها أي غيث يجلب الخير والربيع، وكذا صاحب ميورقة، فما دام مريضًا، فلا عطاء من غيره، إنما العطاء والكرم مرتبط به وحده.

والممدوح عند ابن اللبانة كالسحاب في كرمه، وجوده المفرط:[27]

أنتَ السّحابُ على مكانٍ ينهمي بالمكرمات وعن مكان يُقلِعُ

يشبه الممدوح بجوده وسخائه على أحبائه ورعاياه، وشحه على أعدائه وخصومه بالسحاب في حالة تراكمه، وانهمار المطر من خلاله على أجزاء من الأرض، فيعمها الخير والرخاء، وإقلاعه وانحساره عن أجزاء أخرى، فيقل خيرها، وتُصاب بالجفاف والقحط[28].

ويربط الشاعر بين الرثاء والمزن في مرثياته، إذ تتحول السماء إلـى إنسان يبكـي، والمزن تنسكب دموعها حزنًا، يقول في رثاء بني عبّاد وزوال ملكهم:[29]

تبكي السّماءُ بمزنٍ رائحٍ غادي على البهاليل مـن أبنـاء عبّاد
على الجبالِ التي هُدّت قواعدُها وكـانت الأرضُ منـهم ذات أوتـاد

لقد غدت السماء نادبة باكية، والغيوم ومطرها دموعًا منسكبة، إنها تبكي بني عبّاد، وقد انتهى ملكهم، بعد أن كانوا كالجبال الراسية، وقد "جعل السماء بمطرها الغزير الهاطل مدرارًا في حالة مشاركة له، ولكل المفجوعين من الإشبيليين في حزنهم وبكائهم على آل عبآد؛ لما حلّ بهم، وذلك حين قصد تشبيه الدمع المنهمر من المُقل بمطر السماء التي جعلها تبكي بني عبّاد بمزنها الرائح الغادي، وقد أحسن الشاعر الربط بين الصورتين؛ لأن وجه الشبه بينهما واضح بارز، ألا وهو الغزارة والانهمار"[30]، ولقد اختار نوعًا من المزن (السحاب)، هو الغادي الذي ينشأ غدوة أو صباحًا، كأنها نشأت وتشكلت في فترة معينة، ولغاية معينة هي

(25) المصدر السابق، ص39.
(26) المصدر نفسه، ص67.
(27) المصدر نفسه، ص90.
(28) الصواف، شعر ابن اللبانة الداني_ دراسة وصفية تحليلية، ص164.
(29) ابن اللبانة الداني، الديوان، ص56.
(30) الصواف، شعر ابن اللبانة الداني_ دراسة وصفية تحليلية، ص164.

البكاء، وعادة ما يكون مطر الصباح غزيرًا، وعليه فإن الدموع على فراق بني عبّاد غزيرة هي أيضًا، وذلك تعبيرًا عن شدة الحزن والحسرة، وعظمة هؤلاء القوم الذين يستحقون البكاء وانسكاب الدموع عليه بشدة، وقد استغل الشاعر صفة المزن في الصباح ليجسد عمق حزنه، وكثرة بكائه على المرثيين، ثم إنه أشار إلى نوع من المزن أو الغيوم، مازجًا وصفه له برثائه وندبه، مستثمرًا كل صفة تساعده في التعبير عن حزنه ولوعته.

وما يلبث المطر حتى يتحول إلى ماء ينهمر، ويسقي قبر المرثي، فينبت عليه العشب والشجر ويظلله:(31)

سقى قبره واكفٌ ينهمي وظلله وارفٌ يرطب

فهذا المطر الذي كان بكاء فيما مضى، تحول الآن إلى سقاء، يسقي نبات القبر الذي يظلله، ويبقيه رطبًا حتى يكون من فيه مرتاحًا_ إن كان يشعر_، وهو كذلك مطر ينهمي، أي ينزل بغزارة ويسقي بسخاء.

ج. السماء وما تشتمل عليه من شمس وقمر ونجوم وغيرها

لقد جاء وصف ابن اللبانة للسماء، وما تشتمل عليه من ظواهر مختلفة، ضمن الأغراض الشعرية الأخرى، وهو وصف يوحي بأنه متأثر بالطبيعة السماوية، هائمًا بظواهرها، وهو بهذا لا يختلف عن بقية شعراء الأندلس الذين وصفوا السماء.

ولعل الشمس هي أولى تلك الظواهر التي ذكرها ابن اللبانة في شعره، دامجًا وصفها بالمديح الذي يمثل غرضه الرئيس، لكنه يستحضر صورة الشمس لتساعده في إتمام صوره المدحية، وذلك من خلال إجراء التشبيهات بينها وبين الممدوح:(32)

ملكٌ بفتحِ اللامِ جوهرُ هديهِ من جوهرِ الشّمسِ المُنيرةِ أشرقُ

إنه "يجري مشابهة بين الشمس في حالة شروقها، وإرسالها أشعة ضوئها على الكون، لتنيره، وتهدي الكائنات فيه، وبين جوهر هدي ممدوحه الذي جعله في صورة ملك، يستمد جوهر ذلك الهدي من جوهر الشمس المنيرة المشرقة في كبد السماء، وفي هذا دلالة واضحة على أن منظر الإشراق، قد بعث في نفس الشاعر الأمل والتفاؤل؛ لأنه تصوره مبعثًا للهدى والصلاح"(33).

ولأنه يدرك كما يدرك الناس جميعًا أن الشمس هي النور الذي وهبه الله للكون، لكي لا يديم عليه ظلمة الليل، فإنه يستغل هذه الصفة الشمسية (النور)، ليسبغها على ممدوحه:(34)

تُحييكَ حتى الشّهبُ عني وقَلَّ لكَ فإنكَ نورُ الشّمسِ تُجلي في الحُلك

فهذا الممدوح ما هو إلا نور الشمس التي تبدد الظلام، وتنير الوجود.

ولأن الشمس لها صفات كثيرة، وتأثيرات عديدة، منها أنها تؤثر في العيون، ولا سيما تلك التي تعاني من الرمد، ويكون فعل الشمس فيها سلبيًا، فإن الشاعر يستغل صفة التأثير هذه، لا ليجعلها سلبية، كما هي في العيون الرمد، إنما هي إيجابية؛ لكونه يشبه ممدوحه بهذه الصفة من حيث التأثير:(35)

يُؤثّرُ في الأفلاكِ من بُعد غوره كتأثيرِ نورِ الشّمسِ في الأعينِ الرّمد

إن هذا الممدوح له تأثير في الناس والوجود، ما يوحي بقوته، وذيوع صيته وسداد رأيه، فهو إنسان مؤثر، بل إن هذا التأثير يصل إلى الأفلاك في السماء، بالرغم من علوها، وانخفاضه عنها في الأرض، وهذا يشبه تأثير نور الشمس في الأعين الرمد، على

(31) ابن اللبانة الداني، الديوان، ص33.
(32)ابن اللبانة الداني، الديوان، ص100.
(33) الصواف، شعر ابن اللبانة الداني_ دراسة وصفية تحليلية، ص169.
(34) ابن اللبانة الداني، الديوان، ص103.
(35) المصدر السابق، ص54.

الرغم من بعد الشمس عن تلك العيون، وعليه فإنه يمكن القول إن هذا الممدوح هو سيد في قومه، كما الشمس التي هي سيدة الكواكب في السماء، وهي بعيدة عن الأرض، ولكن فعلها كبير ومعلوم لدى الجميع، وهكذا هو فعل الممدوح وتأثيره كبير أيضًا، ويعرفه الناس جميعًا.

ويذكر ابن اللبانة غروب الشمس، ووقت الأصيل في إحدى سياقاته المدحية، حيث يقول:[36]

شفقٌ وشارقةٌ لديه ورقّةٌ فكأنّما هو بكرةٌ وأصيلُ

إنه يرى في هذه الظواهر (الغروب، الأصيل، الشروق) المرتبطة بالشمس سُننًا كونية متعاقبة، لا تثير الحزن، بل فيها إشراق، وتفاؤل وحركة، يعقبها سكون، وهدوء وتأمل، يعقبه ارتياح[37]، وبالرغم من أنه يسعى من خلال هذا إلى تجسيد المدح، وجعل صفات الشمس مرتبطة بالممدوح الذي يبعث الطمأنينة والراحة، كما تفعل الشمس في تعاقب أوقاتها، إلا أنه يصف الشمس، ويحدد بعض مراحلها التي تقسم أوقات النهار، كالشروق، والبكرة، ووقت الأصيل والغروب، وهو بذلك يطالعنا بوصف الشمس، وحركاتها بطريقة غير مباشرة، دمجها بالمدح الذي هو غايته.

ولا يقتصر الأمر عنده في ذكره الشمس على المدح، بل إنها تشترك معه في أحزانه وانكساراته، ويجعلها تشكو مثلما يشكو، فعندما أصاب المرض صاحب ميورقة، تألم لذلك، وبدأ يشكو، وقد شاركته الشمس والقمر شكواه:[38]

شكى لشكواكَ حتى الشّمسُ والقمرُ وبات دُرُّ الدّراري الزّهر ينتشرُ

إن الشمس والقمر يشكوان المرض، مثلما يشكو صاحب ميورقة، وفي هذا دلالة على عظمة هذا الرجل ومكانته العالية، إذ تشاركه في شكواه أعظم الظواهر الكونية، وتتألم معه، ويسعى الشاعر من خلال هذه الصورة التي جعلت الشمس والقمر إنسانين يشكوان، ويتألمان إلى إبراز أهمية صاحب ميورقة، ومنزلته الرفيعة، وكذلك إظهار الحزن العميم الذي حل بسبب مرضه، حتى أن الشمس والقمر شعرا به.

أما النجوم، فقد استثمرها الشاعر، واستثمر صفاتها من لمعان ونور، ليسبغها على ممدوحيه، ومن ذلك قوله في المدح:[39]

إلِفَ السُّرى فكان نجمًا ثاقبًا صدعَ الدّجى منه وبرقًا أومضا

إن من صفات النجوم أنها ثاقبة، وقد جاء في القرآن الكريم قوله تعالى:﴿**وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ۝ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ۝ النَّجْمُ الثَّاقِبُ**﴾[40]، بمعنى "النجم المضيء الذي يثقب نوره، فيخرق السماوات، فينفذ حتى يُرى في الأرض"[41]، ويستثمر الشاعر هذه الصفة في النجوم، ليضفيها على الممدوح الذي ينير الظلام، ويصدع الدجى بعدله، وحكمته ورأيه السديد، فهو كالنجم في السماء، يخترق الظلمة الليلية، ليصل إشعاعه ونوره الأرض وينيرها.

وتأتي النجوم أيضًا في سياق الغزل، إذ هي تتعجب من جمال المتغزل به وبهائه، ويروعها ذلك:[42]

لحظ النّجوم بمقلتيه فراعها ما أبصرتْ من حسنه فتردتِ

إنه يجعل من النجوم إنسانًا، يروعه المنظر الجميل البهيج، فهي إذا ما نظر إليها المتغزل به فإنها تبادله النظر، فتصيبها الدهشة، ويتملكها الروع؛ نتيجة جمال ذلك المتغزل به الذي يريد الشاعر أن يجعل جماله يفوق جمال النجوم وشعاعها، وهنا يستغل الشاعر

(36) ابن اللبانة الداني، الديوان، 116.
(37) الصواف، شعر ابن اللبانة الداني_ دراسة وصفية تحليلية، ص169.
(38) ابن اللبانة الداني، الديوان، ص67.
(39) المصدر السابق، ص81.
(40) الطارق: 1- 3.
(41) ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرآن)، ج22، ص203- 204.
(42) ابن اللبانة الداني، الديوان، ص42.

صفة الجمال في النجوم، دون أن يصفها بدقة، بل إن كلامه يوحي بذلك الجمال، إذ هي جميلة، لكن المتغزل به أجمل منها، وكأنه يعقد مقارنة بينهما دون التصريح بذلك، مقارنة أساسها تفوق المتغزل به عليها من حيث الجمال.

د. وصف الليل

لعل من أبرز الظواهر الطبيعية التي عُني بها الشعراء (الليل)، ومعلوم أنهم على مر العصور أعطوه عناية كبيرة في شعرهم، ووصفوه، ورسموا له صورًا تجسد ظلمته، وهواجسه، وهمومه، وسهره وغير ذلك، ولا يخفى على أحد ليل امرئ القيس[43]، الذي جعله طويلًا كموج البحر، مليئًا بالهموم، ثقيلًا على النفس. وصولًا إلى ليل عمر بن أبي ربيعة[44]، الذي تقاصر طوله بالنسبة إليه؛ لأنه ليل متعة وأنس مع الحبيبة. ثم ليل ابن خفاجة الأندلسي[45]، الذي تربطه به علاقة سلبية، إذ هو شديد الوطأة عليه، ولا يجد أملًا في انقضائه.

لقد دأب الشعراء على تصوير الليل، وتصوير عواطفهم، ومشاعرهم، وانفعالاتهم تجاهه، وانعكاساته عليهم، وأطلقوا خيالاتهم ليرسموه بصور متنوعة، فتارة يكون ثقيلًا طويلًا كموج البحر أو كالجمل الثقيل، وتارة يكون خفيفًا فيه مسامرة وأنس، وغير ذلك، وقد عُني ابن اللبانة بوصف الليل ومظاهره، ودمج ذلك بأغراضه الشعرية، ولا سيما المدح، ومن ذلك قوله:[46]

طلبَ الغِنى من ليلهِ ونهارِهِ فلهُ على القمرينِ مالٌ يُقتضى
والليلُ قد سَدَّى وألحمَ ثوبُهُ والفجرُ يُرسلُ فيه خيطًا أبيضا

والملحوظ في البيت الثاني أن الشاعر "وصف الليل وصفًا دقيقًا، ووصف تلاحم سدوله أو أثوابه السوداء الحالكة التي يرسل فيها الفجر خيوطه البيضاء إيذانًا ببزوغه"[47]، وهو بهذا يبدو متفائلًا بأن الليل يأتي بعده النور، والصباح والأمل، على عكس امرئ القيس وابن خفاجة اللذين كانا متشائمين، إذ الليل عندهما كما الصباح، لا أمل فيهما.

ويأتي الليل عند ابن اللبانة ممزوجًا بالغزل، ومعلوم أن الليل والحب متلازمان، ولطالما تسامر الشعراء مع حبيباتهم ليلًا، ولطالما أيضًا كان الليل مثارًا للذكريات، ذكريات الحب، والصد والهجر، وما ينتج عن ذلك من همٍّ، وسهر وأرق، وها هو ابن اللبانة ينعم بلقاء صاحبته ليلًا:[48]

نعمتُ بهِ والليلُ مدّةُ ناظرٍ فصارَ من السّراء غمزةَ حاجبِ
كأنّي شربتُ الليلَ في كأسِ ذكرهِ فلم أُبقِ فيه فضلةً للكواكبِ

لقد قصر ليله، فأصبح لا يتجاوز فترة النظرة القصيرة إلى الحبيبة، وصار سرور اللقاء بينه وبينها لا يتجاوز مدة غمزة العين، ولعل ليله القصير هذا، إنما قصر لأنه ينعم بلقاء من يحب ويسامره، ولطالما قصر ليل المحبين في لحظات اللقاء والحب، فبسبب النشوة يمر الليل سريعًا، دون الشعور به، بل إن ليل ابن اللبانة تحول إلى شراب لذيذ، شربه بسرعة، دون أن يبقي منه فضلة

(43) ينظر: امرؤ القيس، الديوان، ص18. إذ يقول في المعلقة:

وليلٍ كموجِ البحرِ أرخى سُدُولَهُ عليَّ بأنواعِ الهمومِ ليبتلي
فقلتُ لهُ لمّا تمطّى بصلبه وأردفَ أعجازًا وناءَ بكلكلِ
ألا أيها الليلُ الطّويلُ ألا انجلي بصبحٍ وما الإصباحُ فيك بأمثل

(44) ينظر: عمر بن أبي ربيعة، الديوان، ص103. حيث يقول:

فيا لكَ من ليلٍ تقاصرَ طولُهُ وما كانَ ليلي قبل ذلك يقصُرُ

(45) ينظر: ابن خفاجة، الديوان، ص215. إذ يقول:

وليلٍ إذا ما قلتُ قد بادَ فانقضى تكشّفَ عن وعدٍ من الظنّ كاذبِ

(46) ابن اللبانة الداني، الديوان، ص82.

(47) الصواف، شعر ابن اللبانة الداني_ دراسة وصفية تحليلية، ص163.

(48) ابن اللبانة الداني، الديوان، ص34.

للكواكب، فكأن الكواكب لم تمتلك وقتًا للبزوغ؛ بسبب سرعة الليل التي لا تمنحها الوقت الكافي حتى تظهر للعيان، وبهذا يكون الليل زمانًا للراحة والمتعة بلقاء الحبيب، بل هو ليل النعيم بالنسبة للشاعر، ولكن ما ينغص عليه هو قصره الذي كان بفعل تلك النشوة التي أفقدته الإحساس بالوقت.

ثانيًا: مظاهر الطبيعة الصائتة (الحية)

ويقصد بها كل ما يعيش على الأرض من كائنات حية، ويطير في سمائها من طيور، بمختلف أنواعها، وأشكالها وألوانها، وما يدب على هذه الأرض من مواشٍ، وضوارٍ، ودواب ودواجن ... وبعبارة أخرى، نعني بالطبيعة الحية كل حيوانات الأرض ما عدا الإنسان(49).

ولعل الحيوان والطير أبرز ما وصفه ابن اللبانة من مظاهر الطبيعة الحية، وقد سار في وصفه على الطبع الذي عُرف به في نظمه، من غير استرسال أو إغراب أو تعمق، وجاء وصفه لهما ضمن أغراض أخرى، لتكملة الصورة، وأداء المعنى، ولم يصف شيئًا منهما وصفًا مستقلًا إلا ما ندر، ومن أكثر الحيوانات التي وصفها، ودمجها في سياقاته الشعرية (الخيل)، إذ نجده يذكرها في معرض مدحه آل عبّاد:(50)

والجيشُ في ظلِ اللواءِ مؤيدًا والخيلُ في وهجِ الكريهةِ شوّبا

فجيشهم مؤيد قوي، يخوضون به الحروب على ظهور خيل سريعة قوية، تقتحم المعارك الكريهة، أي التي يكرهها الفرسان لشدتها ولضراوتها، ولكنهم بامتلاكهم هذه الخيل امتلكوا الشجاعة على خوضها، إذ هي تساعدهم في تحقيق النصر على أعدائهم، لشجاعتها ولقدرتها على اختراق غبار المعارك الذي يشبه النار الوهاجة، وينتج عن حركتها السريعة، وقوتها غبار ووهج شديد أيضًا، يختلط بغبار المعركة ووهجها، فتكون تلك الخيل سبيلهم إلى النصر والفوز.

ويواصل ابن اللبانة وصفه الجياد في أشعاره المدحية، وعلى الرغم من أن غرضه المديح، إلا أنه أحيانًا يفصل بوصف تلك الجياد، فيأتي على ذكر لونها، وجسدها وقوتها، ومن ذلك قوله:(51)

وبالجيادِ تحتهم مستقرة من الدُّهمِ لا جُردٌ حكتها ولا قُبُّ

إن هذه الجياد تتسم بالثبات والقوة، إذ هي ثابتة تحت فرسانها، لا تميل بهم أو تذعر، فيسقطون عن ظهورها، وهي جياد دهم، سوداء اللون، ويركز الشاعر على لونها، فيرسم صورة لونية، قوامها اللون الأسود الذي جعل الجياد تتفوق على غيرها من الجرد أو القب، وهو هنا يشير إلى صفات الخيل التي يفضلها العرب، سواء من ناحية اللون أو الجسد أو الشعر، فكلمة (جرد) مفردها (أجرد)، والأجرد من الخيل "قصير الشعر"(52)، أما كلمة (قبّ)، فهي جمع (أقب)، وهو الحصان "المنطوي الكشح الضامر"(53)، وهاتان الصفتان في الخيل لا يتسم بهما إلا الخيل الأصيلة التي لا تخذل فرسانها؛ ولذا فإن العرب يفضلونها في خيلهم، ولعل ابن اللبانة أراد أن يجعل خيل ممدوحه تفوق في صفاتها الخيل الأخرى، إذ جعلها سوداء اللون، وهو من الألوان المحببة في الخيل، ولا تجاريها خيل أخرى، سواء أكانت جردًا أم قبًّا، ما يوحي أنها امتلكت الصفات كلها التي تجعلها أصيلة قوية، من شعر قصير، وضمور في البطن، ولون أسود.

ويأتي وصف الخيل الجرد في قصائد مدحية كثيرة عنده، ففي إحدى مدائحه بالمعتمد بن عبّاد يقول:(54)

(49) نوفل، شعر الطبيعة في الأدب العربي، ص24. وينظر: الركابي، الطبيعة في الشعر الأندلسي، ص12– 13.
(50) ابن اللبانة الداني، الديوان، ص25.
(51) ابن اللبانة الداني، الديوان، ص30.
(52) ابن هذيل الأندلسي، حلية الفرسان وشعار الشجعان، ص137.
(53) المصدر السابق، ص138.
(54) ابن اللبانة الداني، الديوان، ص51.

بصيرٌ بأطرافِ المؤثّلة الشّبا سميعٌ بآذانِ المسوّمةِ الجرد

لقد نعت هذه الخيل الكريمة، خيل المعتمد، بأنها (مسومة جرد)، بمعنى المعلّمة المعروفة التي تتميز من سائر الخيل؛ لقوتها، ولجمالها ولسرعتها، ولا يسلم منها أحد في المعارك، وقد استعان في رسم صورتها بالتركيب القرآني (الخيل المسومة)، الوارد في قوله تعالى: ﴿**زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاء وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ**﴾[55]؛ وذلك لكي يضفي على تلك الخيل وفرسانها صفة الشجاعة والأصالة، فهي معروفة معلمة، يعرفها كل من لديه خبرة بخيل العرب وأصولها.

ويمزج ابن اللبانة بين صوت الخيل الذي يشبه الشدو الجميل، وصوت صليل السيوف:[56]

وشدا صهيلٌ مُطربٌ فأجابهُ من نحو ألسنةِ الغُمودِ صليلُ

وفي هذا دلالة على شدة المعركة التي يخوضها الممدوح، وجيشه على ظهور جياد قوية، تصهل من شدة المعركة، ليرتد عليها صدى صوت السيوف وصليلها.

أما الحيوانات الأخرى، فنجد منها في شعره (الأسد)، إذ يتحسر الشاعر على زوال ملك المعتمد بن عبّاد، وفي ثنايا ذلك يأتي على ذكر الأسد، فيجعل من بيت المعتمد (عرّيسة)، وهو "الشجر الملتف، مأوى الأسد"[57]، ويتسم بالقوة والمنعة، لكن أصابه الوهن، فدخلته النائبات والمصائب، وأصبح ضعيفًا، لا يقوى على مقارعة الخطوب، ومواجهتها وصدها:[58]

عِرّيسةٌ دخلتها النائباتُ على أساودٍ لهُمُو فيها وآساد

لقد جاء البيت في سياق التحسر، وعلى الرغم من ذلك، فإنه يوحي بوصف الأسد وبيته، وذلك من خلال تلك الصورة القائمة على تشبيه المعتمد بالأسد، وبيته بالعريسة، ما يخبرنا باسم بيت الأسد ومكان سكناه، فهو عرين قوي، محمي بالأشجار الملتفة حوله، وهي كرجال المعتمد وجيشه الذين يذودون عنه، لكن الخطوب والنوازل أضعفت ذلك البيت، ومن يحميه.

ويمزج الشاعر بين وصفه الأسد وقوته، والظُّبى (الغزلان)، وجمالها ورقتها:[59]

يلقى الكُماةَ فتنثني مذعورةً فكأنّه أسدٌ يمرُّ على ظُبى

إن هذا الممدوح بطل مغوار، يلاقي الشجعان من الرجال والفرسان، فيصيبهم الذعر بسبب قوته، وهو بذلك يشبه الأسد الذي يمر على الظبى فيخيفها، إن الشاعر يستغل بشكل واضح صفة القوة والشجاعة في الأسد، ويسبغها على الممدوح، وفي المقابل يستغل صفة الرقة والضعف في الظبى، ويسبغها على أعدائه، وهو بهذا يسعى إلى رسم صورة لممدوحه قوامها البطولة والقوة، وصورة لأعدائه الضعاف أمام قوته، فهم كالظبى أمام الأسد وجبروته.

وتأتي الطيور كمظهر من مظاهر الطبيعة الحية التي وصفها ابن اللبانة، ضمن أغراضه الشعرية، ففي إحدى قصائده المدحية يجعل أرواح الأعداء ومهجهم تحن لرماح الممدوح، كأنها تموت مجبرة؛ لأنها لا تستطيع مقاومة ذلك الممدوح لشجاعته ولبسالته، ولكي تكتمل الصورة، ويكتمل المعنى، يستثمر الشاعر صفة حنين الطير لوطنه، ويرسم صورة تشبيهية تمثيلية، تقوم على طرفين متقابلين: حنين الروح للرمح، مقابل حنين الطير لوطنه:[60]

حنّتْ على أرماحهم مُهج العدا وكذا الطّيورُ تحنُّ للأوطانِ

(55) آل عمران: 14.
(56) ابن اللبانة الداني، الديوان، 118.
(57) ابن منظور، لسان العرب، مادة (عرس).
(58) ابن اللبانة الداني، الديوان، ص56.
(59) المصدر السابق، ص24.
(60) المصدر نفسه، ص141.

ثم إنه يستثمر صفة الجمال في صوت الطير، فيعقد مقارنة بين هذا الصوت الذي يشبه الغناء، وصوت الممدوح، ليخرج بنتيجة مفادها تفوق جمال صوت الممدوح وغنائه على غناء الطير وصوته:[61]

الوردُ ليسَ صفاتُهُ كصفاتِهِ والطّيرُ ليسَ غناؤُها كغنائِهِ

ويكون بذلك قد وصف الطير قاصدًا المديح، وتطرق إلى صفتين فيه هما: الحنين للأوطان، والصوت الجميل، وقد استغل الشاعر ذلك؛ لكي يساعده في رسم صورة الممدوح التي يستقصي لها أجمل المناقب والصفات، ليفضلها على غيرها من صور الآخرين، إنه يستدعي أجمل الصفات في الطير؛ لكي تخرج لوحته المدحية بأبهى صورها وأجملها.

ومهما يكن من أمر، فإنه يمكن القول إن ابن اللبانة قد نظم قصائد، ومقطوعات وأبياتًا وصفية، جسد فيها مظاهر الطبيعة بشقيها: الصامتة والصائتة، لكنه لم يكن يقصد إليها بحد ذاتها، إنما مزجها بأغراضه الأخرى كالمدح، والغزل، والرثاء والهجاء، وقد أكثر من ذلك في المديح، ونبع وصفه من "ذوق أصيل مرهف، ورقة إحساس وسعة خيال"[62]، ثم إنه يوحي باستيعاب الشاعر، وبإدراكه أهمية الطبيعة في تجسيد معانيه، وقد نجح في استثمار مظاهر الطبيعة، واستدعائها لكي تعبر عن أفكاره، وتستوعبها، وتتمم معانيه، وتؤكدها، وترسخها في الأذهان؛ لأن النفس البشرية تعشق الطبيعة، وتميل إليها، وتطرب الأذن لسماع الكلام عنها، ما يؤدي إلى تعلقها ورسوخها في العقول والنفوس.

إن مزج الشاعر وصف الطبيعة بالأغراض الأخرى، يعكس أحاسيسه ومشاعره تجاه تلك الطبيعة وعناصرها، لذا فإنه أحاط بالكثير منها، وهذا الأمر يعكس أيضًا تأثره بجمالها، وهيامه بها، وبمفاتنها، وبعناصرها من رياض، وأشجار، وبحار، وأنهار، وطيور، وحيوان وغير ذلك، لذا فقد رسم لها صورًا، تقوم على الخيال، وتفيض بالمعاني، وربط ذلك كله بصور الممدوحين أو المهجوين أو المرثيين أو المتغزل بهم، وكانت تلك الظواهر الطبيعية معينًا له، وأداة مساعدة تجعله قادرًا على التعبير عن مشاعره وانفعالاته، فضلًا عن إسهامها في إكمال أفكاره ورؤاه، وتحقيق مقاصده وغاياته في النظم الشعري.

المبحث الثاني: وصف الطبيعة ضمن قصائد ومقطوعات شعرية مستقلة

إن الناظر في ديوان ابن اللبانة، يجد بعض القصائد والمقطوعات الشعرية التي خصصها لوصف بعض مظاهر الطبيعة، وجعلها مستقلة عن الأغراض الأخرى، وهي مقطوعات قصيرة لا تصل حد القصائد، وقد تراوح عدد أبياتها ما بين البيتين والأربعة أبيات، ما عدا واحدة جاءت في وصف النيروز، وبلغ عدد أبياتها أربعة عشر بيتًا، ويمكن تسميتها قصيدة.

ولعل أبرز تلك المظاهر الطبيعية:

أ. النيروز وملاهيه ومتنزهاته

النيروز هو أحد الأعياد، وقد أخذه العرب عن الفرس، وهو أول يوم في السنة الشمسية[63]، وكانوا في الأندلس يحتفلون به، ويقيمون فيه المراسم والملاهي، ويخرجون إلى المتنزهات والحدائق، منذ تأسيس الدولة الأموية، مرورًا بفترة ملوك الطوائف، والمرابطين، والموحدين وبعدها، ويقيمون فيه حلبات للصراع بين الحيوانات المفترسة، وكذلك الصراع بين الإنسان وتلك الحيوانات، فضلًا عن إقامة مجالس اللهو والطرب، والخروج للتنزه، وإقامة سباقات للخيل والمطاردة وغير ذلك[64].

ويصف ابن اللبانة هذا اليوم (يوم النيروز) بقصيدة حائية، خصصها لرسم لوحة فنية له، ولما يجري فيه من ملاهٍ، ويمزج ذلك الوصف بالغزل بغيداء جميلة فاتنة:[65]

(61) ابن اللبانة الداني، الديوان، 21.

(62) الصواف، شعر ابن اللبانة الداني_ دراسة وصفية تحليلية، ص177.

(63) ينظر: الجاحظ، التاج في أخلاق الملوك، ص146. وابن منظور، لسان العرب، مادة (نزر).

(64) ينظر: العامري: التفاعل الحضاري بين أهل الأندلس والمسلمين والإسبان النصارى في القرون الوسطى، ص27، ص30– 34.

(65) ابن اللبانة الداني، الديوان، ص47.

يا كوكبَ النّيروز في بهجةٍ أسنى من البدرِ المنيرِ الليـاح
جاءتْ عطايا تهادى به تهاديَ الغيدِ غداةَ اقتـــراح
لو أن لي قوةَ عهدِ الصّبا لم أتركِ النّيروزَ دون اصطباح

لقد استهل قصيدته بوصف ذلك اليوم الجميل اللامع الذي يفوق نوره وبياضه نور البدر المنير وبياضه، وهو يوم تكثر فيه الهدايا التي جعلها تأتي منقادة كانقياد الفتيات الحسناوات إلى أحبابها، لكن الشاعر يستدرك ويعترف بأنه لم يعد شابًا فتيًا في فترة الصبا حتى يستمتع به، ويمارس اللهو والشراب، ومع ذلك فإنه يستمتع بوصف مظاهره الفاتنة التي تبعث في النفس الرقة كرقة تلك المظاهر وذلك اليوم:(66)

يومٌ رقيقٌ ثائرٌ ناظم كافوره فوق الرّبى والبطاح
تلعبُ فيه كلُّ مياسةٍ ميس غصونٍ تحت رَوْحِ الرّواح

فقد جمع هذا اليوم بين الرقة، والثورة والجمال، فكل ما فيه يبعث على الهوى، والثورة من الفرسان الشجعان لمقارعة ذلك الهوى، وهو يوم انتظمت فيه الروائح الطيبة، وانتشرت في الأرجاء كافة، فشملت الربى والبطاح، ثم إن الحسناوات يتمايلن ويتبخترن في هذا اليوم، كما تتبخر الأغصان وتتمايل، فتفوح منها الريح الزكية التي تؤدي إلى راحة كل من يستنشقها، ثم إن تمايلها هذا يشبه تمايل الحيّات ذات الألوان المختلطة بين السواد والبياض، وهنا يستغل صفة التمايل واللون في الحيات، ولا يقصد تشبيه الفتيات بها من ناحية الخبث، إنما استثمر صفة جمالية فيها، وبهذا فإنه يدمج وصفه بوصف الحيوان المتمثل بالأفعى، وكذلك يستغل صفة حيوان آخر هو الخيل، المتمثلة بخيلائها وقت الراحة في الإسطبل:(67)

في ملتوى الأرقمِ في جلدهِ في خيلاءِ الخيلِ عند المراح
إن قعدت قلتُ رُبىً في ثرى وإن مشت قلت مهىً في مراح

والملحوظ في البيت الثاني أنه استمر في دمجه صفات الحيوان بصفات تلك الحسناوات، مستثمرًا أجمل الصفات في الحيوان، إذ هذه الفتيات تشبه الغزلان والمها إذا مشت وتمايلت، وإلى جانب هذا الجمال فقد جمعن بين صفتي الأنس والقوة في آن معًا:(68)

إنسيةٌ وحشيةٌ ركبت من صورة الجدِّ وشكلِ المزاح

لقد لجأ إلى التضاد؛ ليحقق غايته في الوصف، فيرى أن تلك الفتيات بالرغم من تمايلهن، وجمالهن ورقتهن، إلا أنهن تميزن بالقوة أيضًا، إذ لا يسمحن لأحد التمكن منهن، ما يدل على أنهن حرائر من أصل كريم، ثم إنهن يمزجن بين الجد والمزح، ففي وقت اللهو كيوم النيروز، يستمتعن ويمارسن المزاح واللعب، لكن إذا جد الجد فإنهن يتسمن بالجد والصرامة، والدليل على أنهن حرّات كريمات قوله:(69)

يخدمها كلُّ كميٍّ له وجهٌ حييٌّ وفؤاد وقاح

حيث يقوم على خدمتهن فرسان شجعان، يحمونهن من كل طائف قد يطوف بهن، وهؤلاء الفرسان يتسمون بالحياء والحشمة، وقلوبهم صلبة لا تعرف الخوف.

على أي حال، فقد استطرد ابن اللبانة في وصفه النيروز ومشاهداته فيه، مركزًا على تلك الفتيات الجميلات اللواتي يحتفلن به، ويتزين ويمارسن اللهو والترف، فبدا كأنه يتغزل بهن، بل كأن القصيدة في الغزل، وليست في الوصف، إلا أن اللافت في هذا كله أنه مزج بين وصفه النيروز وحسناواته بالطبيعة بشقيها: الصامتة والصائتة، وكان يختار منها الأجمل كالغصون المتمايلة

(66) المصدر السابق، ص47.
(67) ابن اللبانة الداني، الديوان، ص47.
(68) المصدر السابق، ص48.
(69) المصدر نفسه، ص48.

بسبب الريح العليلة، ورائحة الرياض الطيبة، وتمايل الأفاعي، والخيل والغزلان، وكل هذا لكي يكمل صورة الوصف، وتكون هذه الظواهر الطبيعية وصفاتها الجميلة معينة له في رسم أجمل اللوحات الوصفية والغزلية.

إن هذا الوصف يعكس انفعالات الشاعر وأحاسيسه تجاه يوم النيروز الذي يشكل مصدر متعة ونشوة له، على الرغم من أنه مثّل دور المشاهد، ولم يكن يمارس أي فعل مع تلك الفتيات في ذلك اليوم؛ لأنه تجاوز فترة الصبا التي هي على حد قوله فترة اللهو والطرب، لكن دوره كمشاهد أدى إلى انفعاله، وتأثره بتلك المظاهر، ما انعكس على نفسه المرهفة التي وصفت عناصر الطبيعة، والنيروز وما اشتمل عليه من مظاهر جميلة بدقة وبراعة.

ب. المطر والندى والغيوم

وصف ابن اللبانة الندى (الطل) في مقطوعة شعرية، بلغ عدد أبياتها ثلاثة، رسم فيها صورته وقد استقر في الأرض وفي الأغصان والأشجار:(70)

تـرى الطّلَّ فــي أخلائها مثل لؤلؤ ... ولـكن تـبقى نظمه فـــي القلائد

وتحسب فــي أطرافِ طرفائها النّدى ... بقـيـة كـحـل فــي رؤوسِ المزاود

كـأنّ ريـاضَ الـحزن بُسطٌ تدبّجت ... بـأنـواع ألــــوانٍ حـسـانٍ فـرائـد

لقد بدت قطرات الندى كأنها حبات لؤلؤ متناثرة، وليست منتظمة كما هي في القلائد، إنها صورة أولى يرسمها الشاعر للندى وقطراته، ليصور لمعانها وصفائها، ثم ينتقل إلى الصورة الثانية، ليجعل أطراف الأغصان وقد بللها الندى وزينها، كبقية الكحل في رأس المكحلة، وهي صورة دقيقة، توحي ببراعة الشاعر، وقدرته على التصوير، إذ اختار رأس المكحلة المدبب، وقد استقرت عليه بقايا الكحل، وهي صورة تشبه قطرة الندى الصغيرة على طرف الغصن التي تكاد أن تسقط على الأرض، ثم يأتي بصورة ثالثة، تجسد الرياض، وقد تزينت بالندى، فأصبحت كأنها حزينة، فاضت دموعها، فغدت نتيجة لتلك الزينة بسطًا مزركشة، مزينة ملونة بجميع الألوان الحسنة الجميلة الفريدة.

لقد رسم الشاعر لوحة فنية جميلة للندى وحباته، مستدعيًّا مظاهر أخرى من الطبيعة، تتعاضد مع الندى، لكي تكمل الصورة والمعنى الذي يريده، كصورة اللؤلؤ ولمعانه وصفائه، ليكون مرادفًا للندى في صفائه، ثم استحضاره صورة المكحلة، وما بقي على رأسها من كحل تتزين به العيون، ومعلوم أن الكحل يزيد تلك العيون جمالًا وبهاء، واستدعائه صورة الرياض، ليمزجها بالندى، ويجعلها مزركشة جميلة، زينها الندى بألوان فريدة، تتمثل باستقراره على أشجارها، وأزهارها التي ازدادت جمالًا وحسنًا بذلك الندى.

وأفرد ابن اللبانة مقطوعة شعرية أخرى، بلغ عدد أبياتها ثلاثة، لوصف الغيوم:(71)

يــومٌ تـكـاثـفَ غـيـمُـهُ فـكـأنّــهُ ... دونَ السّماءِ دُخـانُ عـودٍ أخضر

والـطّـلُّ مـثـلُ بَـرَّادةٍ مــن فـضـةٍ ... مـنثورةٍ فــــي تـربـةٍ مـــن عنبر

والشّمسُ في حُجُبِ السّماءِ كأنّها ... حسناءُ تَسَتَّرُ تحت كَلّـــةِ تُسْتُر(72)

فقد رسم لوحة فنية لطيفة ليوم غائم، تناثرت فيه حبات الطل على أرض عنبرية، وصور الشمس غادة متدثرة بكلة مصنوعة من ذلك الغيم الذي ينشر البهجة والسرور، وبهذا فإنه لم يسلك مسلك الأقدمين الذين يستأنسون بهطول الأمطار وعبوس السماء وتجهمها، ويستهويهم الشراب في ذلك اليوم الغائم(73)، إضافة إلى أن بعضهم تخيفه هذه الظواهر من تكاثف الغيوم، وشدة الرياح وهبوبها، أما ابن اللبانة، فهو عكس هؤلاء، حيث تذكره الغيوم، والرياح والأمطار بريح الصبا التي تحمل في طياتها معاني الشوق

---

(70) ابن اللبانة الداني، الديوان، ص49- 50.

(71) المصدر السابق، ص70- 71.

(72) تُسْتُر: موضع، اسم بلد. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (برق)، ومادة (ستر).

(73) الصواف، شعر ابن اللبانة الداني_ دراسة وصفية تحليلية، ص165.

والحنين لأيام الشباب ومغامراتها، وتكون هذه الظواهر الطبيعية رسول محبة بين المحبين، فضلًا عن أنها تجعل وصفه دقيقًا، إذ الطل مثل الفضة المنثورة في تربة عنبرية، والشمس كفتاة حسناء، اتخذت من الغيوم حجابًا لها.

ج. الروض

خصص ابن اللبانة الروض بمقطوعة شعرية، بلغ عدد أبياتها ثلاثة، وصف بها روضة يانعة، وما اشتملت عليه من مظاهر خلابة فاتنة:(74)

والوردُ تحت الظلِّ فيها مشبه خدًّا يذوبُ من الحياءِ فيفطرُ
وكأنّ نرجسَهَا أُصيبَ بروعتي فعلاهُ لونٌ مثل لوني أصفرُ
فكأنّما الرّيحان روحي كلّما تتغيرُ الأشياءُ لا تتغيرُ

لقد استطاع أن يرسم لتلك الروضة لوحة تقوم في أساسها على وصف الورد وصنوفه، فقد افتتحها بالحديث عن الورد بوجه عام، وجعله كخدّ فتاة جميلة، تتسم بالحياء، ويكاد خدها يذوب من شدته، على الرغم من أن الورد في الظل، وليس تحت الشمس، حيث الحرارة العالية التي قد تؤدي إلى الذوبان، ولكن رقة الورد وجماله جعلتاه يبدو ذائبًا حتى في الظل، ثم يبدأ الشاعر بعد ذلك بالتفصيل بأنواع الورود، فيذكر النرجس الأصفر الذي يشبه لون وجه الشاعر، وهو لون مرتبط بالروع، فإذا ارتاع الإنسان اصفرّ وجهه، وهي صفة ليست حسنة، ولكنها في النرجس حسنة، إذ الأصفر من أجمل الألوان في الزهور، ولعل روعة الشاعر لم تأتِ لخوف أو ذعر من شيء مريب، وإنما هي دهشة بسبب جمال المنظر الذي رآه في الروضة وزهورها، فعلاه اللون الأصفر، أو انعكس عليه من النرجس الأصفر، أما النوع الثاني من الزهور، فهو الريحان ذو الرائحة الزكية والمنظر الحسن، وهو يشبه روح الشاعر التي لا تتبدل أو تتغير، بل ثابتة في كل الظروف والأحوال.

إن هذا الربط الجميل بين الروضة وأزهارها من نرجس وريحان، وبين الشاعر وصفاته، ما هو إلا تعبير عن انعكاسات الشاعر وأحاسيسه تجاه الطبيعة، المتمثلة بالروضة ومفاتنها، ما يدلل على أنه مرهف الحس، رقيق الروح، ينفعل إزاء الطبيعة الخلابة الفاتنة، ويعبر عن تلك الانفعالات بكلام رقيق عذب، وصور متخيلة تعبر عن رؤاه، وتحقق مقصده ومبتغاه.

د. الزبيب

نظم ابن اللبانة بيتين مستقلين في وصف زبيب أسود أُهدي إليه:(75)

أُهديتْ لي من بناتِ الكرمِ فاكهةً كأنّ طيبَ اللمى من طيبها أشرقا
حَبٌّ أتتني به حبُّ القلوبِ وخيلانُ الخدودِ وأحداقُ المها نسقا

فقد اتكأ على التصوير _كعادته_ فجعل الزبيب نبتًا من بنات الكرم (شجرة العنب)، وهو كفتاة حسناء جميلة على الرغم من أن لونها أسود، إلا أن طيب مذاقها جعلها كالحسناء طيبة العناق، إذ شفتاها ذات اللون الأسود جميلتان ولذيذتان، ثم ما يلبث حتى يأتي بصورة أخرى لحبِّ ذلك الزبيب، فيجعله قريبًا من القلب كالحُبِّ ولذته، وهو أيضًا يشبه الخال في الخدود الذي يزيدها جمالًا، ثم إنه في جمال سواده يشبه عيون المها والغزلان، وترتبط هذه التشبيهات لحَبّ الزبيب بالجمال، فما أجمل من الحُب؟ وما أجمل من حبة الخال في خد الفتاة؟ وما أجمل من عيون المها؟

إن مثل هذه الصور تكشف عن براعة الشاعر، إذ هو قادر على جعل الأشياء جميلة، وإن كرهها الناس، فاللون الأسود مثلًا في أحيان كثيرة يرتبط بالتشاؤم والحداد والحزن، إلا أن ابن اللبانة يستثمر كل جميل مرتبط بهذا اللون، ليجعله لونًا ذا جمال وبهاء، ودليل ذلك أنه يأتي بمظاهر جميلة مرتبطة به، كحبات الخال في الخدود، وسمرة شفتي الحسناء، وهو أمر مستحسن، ويدل على

(74) ابن اللبانة الداني، الديوان، ص65.
(75) المصدر السابق، ص97.

الجمال في النساء، وقد لجأ إلى ذلك كله؛ لكي يعبر عن جمال الزبيب ومذاقه اللذيذ، وتصويره بأبهى الصور من حيث الشكل، واللون والطعم.

هـ. الخيل

أفرد ابن اللبانة مقطوعة واحدة في ديوانه لوصف الخيل، جعلها في ثلاثة أبيات:(76)

للهِ طِرفٌ جالَ بابنِ محمدٍ فحوتْ بـه حوباؤُه التّأميلا
لـما رأى أنّ الظّلامَ أديمُـهُ أهدى لأربعةِ الهدى تحجيلا
وكأنّما في الرّدف منه مباسمٌ تبغي هناكَ لوجهـهِ تقبيلا

ولا غرابة أن يصف ابن اللبانة الخيل؛ إذ نالت اهتمام شعراء الأندلس بوجه عام، و"حظيت بحرصهم عليها، وتفاخرهم بها، وبقوتها، وبسرعتها وبنجابتها، لما تفجر لديهم من رموز ومعانٍ كثيرة، يتشبثون بها، ويعتزون بتحقيقها كالبطولة، والشجاعة، والرجولة والمجد"(77).

لقد جعل الشاعر حصانه (طِرفًا)، ويعني "الطويل القوائم، الطويل العنق، المطرف الأذنين، الذي اكتملت فيه كل صفات الحسن والطول"(78)، وهو جواد قوي ضخم، يجول في الأرض، فتتأمل نفسه بما حولها، ما يدل على أنه صاحب بعد نظر، يحمي فارسه، وقد استمد لونه من الليل والظلام الذي يثير الرعب في نفوس الأعداء، وكانت قوائمه الأربع محجلة، والتحجيل "بياض يكون في قوائم الفرس كلها"(79)، ما يكسبها جمالًا وزينة، فهذا الحصان جمع بين القوة والجمال، القوة في جسده (الطرف)، والجمال في لونه الأسود اللامع، ولون قوائمه الممزوج بالبياض، ثم إنه جعل في أردافه مباسم، تتوق إلى تقبيل رجله.

جاء هذا الوصف مرتكزًا على ناحيتين مهمتين في الحصان: الأولى: تتمثل بمظهره الخارجي الجميل، الذي يمثله لونه الأسود، وهو من الألوان المفضلة في الخيل، ثم البياض في قوائمه المحجلة، وقد برع الشاعر في هذا، إذ "أعطى الحصان ثوبًا من جلد الظلام، وصاغ له حجولًا من نور الصباح"(80)، الثانية: تتمثل بمخبره، المرتبط بقوته من خلال ضخامته، وسرعته، وذكائه وتأمله (حوباؤه التأميلا).

ومهما يكن من أمر، فعلى الرغم من أن ابن اللبانة كان مقلًّا في وصف مظاهر الطبيعة ضمن قصائد مستقلة ومطولة، إلا أن ما نظمه في بعض عناصرها عبر مقطوعات قصيرة، ينمُّ عن قدرته على تمثلها، لكنه لم يكثر منها كقصائد منفردة؛ لكونه يدمج وصفها بأغراضه الشعرية الأخرى كالمديح، والغزل، والرثاء، والهجاء وغيرها، لتكون معينة له في رسم الصور وإتمام المعاني، وتكون صفاتها وسيلة مساعدة له في إكمال الأفكار والرؤى التي يجسدها ويعبر عنها.

المبحث الثالث: الصورة الفنية لوصف الطبيعة

تعدّ الصورة الفنية عنصرًا أساسيًّا من العناصر البنائية في النص الشعري، وهي في الأساس تقوم على الخيال الذي دونه لا يكون العمل الأدبي شعرًا؛ لأن الخيال متعاضدًا مع عناصر أخرى كالوزن والقافية، هو ما يميز الشعر من غيره من النصوص الأدبية والإبداعية، وتسهم الصورة إسهامًا فاعلًا في تحقيق المتعة الجمالية التي يتوخاها الشاعر، ما يجعل شعره يتسم بالشاعرية والفنية.

(76) ابن اللبانة الداني، الديوان، ص109- 110.
(77) خضر، حازم عبدالله، وصف الحيوان في الشعر الأندلسي_ عصر الطوائف والمرابطين، ص29.
(78) ابن هذيل الأندلسي، حلية الفرسان وشعار الشجعان، ص136.
(79) ابن منظور، لسان العرب، مادة (حجل).
(80) الصواف، شعر ابن اللبانة الداني_ دراسة وصفية تحليلية، ص175.

ولأن الصورة آلية مهمة من آليات البناء الفني في الشعر، فإن الشاعر "يتوسل بها، ليعبر من خلالها عن حالات لا يمكن له أن يتفهمها، ويجيدها دون الصورة، وبهذا الفهم لا تصبح الصورة شيئًا ثانويًا، يمكن الاستغناء عنه أو حذفه، وإنما تصبح وسيلة حتمية لإدراك نوع من الحقائق، تعجز اللغة العادية عن إدراكه أو توصيله"[81]، ويعد التعبير بالصورة الشعرية نوعًا من الارتقاء باللغة في مدارج الخيال للاستحواذ على انفعالات المتلقي، فهناك "ضرورة داخلية ملحة، تدفع الشاعر إلى التعبير بالصورة، باعتبارها مظهرًا من مظاهر الفاعلية الخلاقة بين اللغة والفكر"[82]، بل إن لغة الشاعر تعبر عن فكره ورؤاه، وتكون الصورة هي الأداة التي يلجأ إليها لكي يجسد هذا التعبير، محاولًا جعلها متماسكة قريبة إلى الأذهان، لكي يستوعبها المتلقي، ويفهم ما وراءها.

وتأسيسًا على ما سبق، فإن الصورة "طريقة خاصة من طرق التعبير، أو وجه من أوجه الدلالة، تنحصر أهميتها فيما تحدثه في معنى من المعاني، من خصوصية وتأثير، ولكن أيًّا كانت هذه الخصوصية أو ذاك التأثير، فإن الصورة لن تغير من طبيعة المعنى في ذاته، إنها لا تغير إلا من طريقة عرضه، وكيفية تقديمه وتأثيره في المتلقي"[83]، وبالرغم من أنها متخيلة وغير واقعية، إلا أنها منتزعة من الواقع؛ لأنها تركيبة وجدانية، تنتمي في جوهرها إلى عالم الوجدان، أكثر من انتمائها إلى عالم الواقع[84].

وتكمن أهمية الصورة وراء كونها تمثل "الأداة القادرة على الخلق والعطاء، بما توصله إلى نفوس الآخرين من خبرة جديدة، وفهم عميق للأمور"[85]، وهي بهذا تتعالق مع الآليات الأخرى في النص، لتكون متعاضدة معها من أجل تحقيق الرؤية والمقصد منه، إذ إنها "لا تنجح مهمتها في القصيدة، إلا إذا كانت بمنزلة خلية حية، تعيش بين مجموعة من الخلايا الحية الأخرى"[86]، التي تتحد معًا في بناء النص، وتجسيد أفكاره ومقاصده، وتكون "وسيلة الشاعر في محاولته إخراج ما بقلبه وبعقله، وإيصاله إلى غيره، فالقيمة التي تخلقها الصور الفنية، هي تنظيم التجربة الإنسانية، وتحقيق وحدة الوجود"[87]، إضافة إلى دورها الرئيس في إضفاء الجمال والشاعرية على ذلك النص.

لقد استمد ابن اللبانة صوره من البيئة ومعطياتها، وعلى الرغم من هذا، إلا أنه معنيًا بتصوير ذاته؛ إذ إن الذاتية "لا تقتصر على التعبير عن الذات، وعواطفها، وتجاربها الخاصة وحدها_وإن كان ذلك من أهم عناصر الذاتية_ بل أن يكون للشاعر كيان مستقل، ونظرة متميزة للحياة وللناس، ووجدان يقظ، يرصد المجتمع، والطبيعة والنفس الإنسانية"[88].

ولأنه لجأ في كثير من أشعاره إلى تصوير الطبيعة وعناصرها، فإن هذا يبرهن على أنه "لم يقصر صوره الشعرية على التعبير عن ذاته، وتجاربه الخاصة وحدها"[89]، إنما صور الطبيعة، ورسم لها لوحات تعكس انفعالاته وعواطفه تجاهها، وغدت تلك الطبيعة ومظاهرها وسيلة فاعلة ومساعدة له لكي يرسم صوره التي يقصد إليها، فنجده يربط بينها وبين ممدوحيه، من خلال علاقة المشابهة، فيكون الممدوح مشبهًا، وعناصر الطبيعة مشبهًا به، فإذا وصفه بالكرم، اختار من الطبيعة ما يناسب هذا المعنى:[90]

خصيبُ نواحي الفضلِ يضحكُ كلّه عن المكرماتِ السِّبطِ والحسب الجعدِ
فقُلْ في أياديه رياضةُ الذُّرى وقلْ في معاليه مُصافحةُ المجدِ

(81) عصفور، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، ص383.
(82) المرجع السابق، ص329.
(83) عصفور، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، ص323.
(84) ينظر: إسماعيل، الشعر العربي المعاصر، قضاياه، وظواهره الفنية والمعنوية، ص127.
(85) ينظر: خليل، الصورة الفنية في شعر ذي الرمة، ص6.
(86) العشماوي، قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث، ص205.
(87) ينظر: الرباعي، الصورة في النقد الأوروبي، محاولة لتطبيقها على شعرنا القديم، ص41- 45.
(88) القط، الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر، ص27.
(89) الصواف، شعر ابن اللبانة الداني_ دراسة وصفية تحليلية، ص204.
(90) ابن اللبانة الداني، الديوان، ص54.

إلـيـــــه وإلا قـيّدوا قـدمَ الـسُّـــــرى وفـيـــــه وإلا أخـرسوا منطقَ الحمدِ
يطالـعُ عـن صبحٍ ويـنهلُ عن حَيًا ويـخطفُ عن برقٍ ويقصفُ عن رعدِ
وعنـه أفيضوا أنّـــه مُشْعِرُ العُلى وحـوليه طـوفوا أنّـــه كعبـــةُ القصدِ
وألـغوا حـديثَ البحرِ عند حديثه فكم يبني من جزرٍ وكم يبني مـــن مدِّ

فقد رسم لوحة فنية، تصف كرم الممدوح وتصوره، ومزج ذلك كله بالطبيعة ومظاهرها، إذ اختار منها ما يتسق والكرم، ويجسده، حيث جعل الممدوح كالسحاب جودًا وعطاء، وكالغيث تدفقًا وانهمارًا، وكالبحر مدًّا وجزرًا، ما جعله كعبة القصد، ومحط الآمال، وعليه فقد نبعت هذه الصورة الكلية وصورها الجزئية من الطبيعة وعناصرها، بل إن الطبيعة مثلت العنصر الرئيس فيها؛ إذ لم يكن بوسع الشاعر إلا الاستعانة بها، لكي يسبغ على ممدوحه صفات الكرم التي تشبه كرم تلك الطبيعة المقدرة من الله _جلت قدرته_.

ثم إنه لا يجد مناصًا من استثمار تلك العناصر الطبيعية لتصوير كرم ممدوحه، فالبحر مثلًا متصل بالكرم، بل هو معادل طبيعي له؛ لذا فإن هذا المظهر الطبيعي يغدو رمزًا عند الشاعر، يستوحيه لممدوحه، باسطًا عليه صفة الكرم والسخاء:[91]

براحتهِ بحرٌ محيطٌ مُسخَّرٌ يُفادُ فيه ولا يذعرُ الرّكبُ

فالممدوح بحر، وفي هذا استعارة تصريحية، حيث جعل الممدوح كالبحر الواسع الذي سخر نفسه للعطاء، دون مقابل، لكنه حذف المشبه (الممدوح)، وصرح بالمشبه به (البحر)، ثم إنه استغل صفتين مهمتين في البحر: الأولى: اتساعه، وهي صفة إيجابية، وظفها لتكون للممدوح، ورمز بها إلى كثرة عطائه وكرمه، والثانية: الخوف أو الذعر من ركوب البحر، وهي صفة سلبية، نفاها عن ممدوحه، إذ البحر الحقيقي مخيف في ركوبه، لكن الممدوح لا يخافه طالب الحاجة، ليس لأنه ضعيف، إنما لحلمه وعطفه على الناس.

ويلجأ في بعض صوره المدحية المستندة إلى ألوان الطبيعة إلى المفارقة التي تقوم على أساس حدوث شيء بسبب شيء آخر، فالربيع يضحك في ربوع بني عبّاد، ملوك إشبيلية، وقد جاء هذا الربيع بسبب بكاء السماء، ونزول دموعها، المتمثلة بالغيث والمطر، وبهذا تتجسد المفارقة بين الضحك والبكاء:[92]

ضحكَ الرّبيعُ بحيث تلك الأربعُ لما بكى للغيثِ فيه مدمعُ

إنه يسلك في هذه الصورة مسلك الاستعارة المكنية، فيجعل الربيع إنسانًا يضحك، حاذفًا المشبه به، ذاكرًا المشبه، وكذلك يجعل الغيث إنسانًا يبكي، حاذفًا المشبه به، وقد ساعدته هذه العناصر الطبيعية في رسم صورة الحياة الجميلة المزهرة في ظل الممدوحين (آل عبّاد)؛ إذ إنه يعيش في كنفهم بنعيم ورخاء، كمن يعيش في ربيع وأرض خصبة، سقاها الغيث.

ويستثمر الشاعر البدر في السماء، ليكون رمزًا ومعادلًا طبيعيًّا للممدوح؛ وذلك لما يشتمل عليه البدر من جمال، ونور ساطع، وعطاء يتمثل بمنحه النور والضوء للكون:[93]

يا أيّها البدرُ الذي قد كانَ لي حوليه في أفقِ السّعادةِ مطلعُ

إن الممدوح بدر، يحقق بنوره وضيائه السعادة للشاعر ولمن حوله، إنه يوظف أهم صفة في البدر (ضياء الأفق)، لكي يسبغها على الممدوح الذي يمثل منارة في الرأي والحكمة، وبالتالي فإنه يسبب السعادة لمن حوله، ولعله اختار (البدر) قاصدًا؛ لأنه يكون مكتملًا، وباكتماله يتحقق النور، وتتسع آفاقه، فهو ليس كالهلال في صغره وضآلة نوره.

ويعبر الشاعر عن حزنه وبكائه بسبب الموت، معتمدًا صورة البدر في ذلك:[94]

(91) ابن اللبانة الداني، الديوان، ص28.
(92) المصدر السابق، ص87.
(93) المصدر نفسه، ص89.

وبدرُ سبعٍ وسبعٍ تستنيرُ به السّبعُ الأقاليمُ والسّبعُ السّماواتُ

ويقول:[95]

وما حَلَّ بدرُ التَّمِ بعدَكَ دارَهُ ولا أظهرتْ شمسُ الظّهيرةِ مبسَمَا

ونلحظ تقييد الشاعر للبدر في البيت الأول، بأنه بدر سبع وسبع، وتوسيعه دائرة الاستنارة به[96]، فعلى الرغم من أن هذا البدر ابن سبع ليالٍ، إلا أنه ينير الأراضين السبع والسماوات والسبع، والشاعر هنا يندب المعتمد، وقد نُفي وفني ملكه، فجعله بدرًا جميلًا عمره سبع ليالٍ، ولكن بالرغم من صغر سنه، إلا أن ضوءه ساطع، ينير الأرض والسماء، ما يدل على منزلته الرفيعة، وذيوع صيته.

ولكن هذا البدر قد رحل في البيت الثاني، ولم يستقر بداره، فبعد نفي المعتمد لم يأتِ رجل كامل بأوصافه ليحل محله، ثم إن الشمس غدت كإنسان حزين دائم البكاء، وقد غادرها الفرح، وفارقتها الابتسامة، وكل ذلك حزنًا على فراق المعتمد، لقد ساعد القمر والشمس الشاعر في تجسيد رؤيته في الندب والبكاء، فضلًا عن أنهما أسهما في تشكيل الصورة الشعرية؛ إذ استغلهما الشاعر، وأضفى عليهما سمات البشر، جاعلًا القمر الذي اكتمل غير مستقر في داره كما المعتمد، وجاعلًا الشمس تبكي، وقد فارق الضحك مبسمها، نتيجة فراق المعتمد وفناء ملكه، إن الملمح البارز في هذه الصورة، يتمثل بلجوء الشاعر إلى الأنسنة، حيث استثمر صفتين إنسانيتين: السكن في الدار والاستقرار بها، والضحك، وأضفاهما على عنصريين طبيعيين (القمر والشمس)، ما أكسب الصورة بعدًا جماليًا، أساسه التصوير والخيال من خلال تلك الأنسنة، وبعدًا موضوعيًّا، قوامه قدرة هذا الصورة على التعبير عن المعنى، المتمثل بالتحسر على زوال ملك المعتمد.

ويواصل الشاعر رسم صوره من خلال الأنسنة أو التشخيص، فيجعل عناصر الطبيعة تشاركه الندب، والتفجع:[97]

بكاكَ الحيا والرّيحُ شقّت جيوبَها عليكَ وناحَ الرّعدُ باسمك مُعْلِما

فالريح كأنها فتاة شقت ثيابها حزنًا وألمًا، والرعد ينوح ويبكي، إنه يضفي صفات الإنسان على غيره من الكائنات والظواهر الطبيعية، من خلال إلباسه الريح ثيابًا، وجعله الرعد ينوح، والنواح صفة إنسانية، تصيب الإنسان في حالة الحزن، ولعله لجأ إلى ذلك؛ لكي يصور مدى حزنه وفجيعته إزاء ما أصاب سيده المعتمد بن عبّاد، فأراد أن تشاركه الطبيعة ذلك الحزن، تعبيرًا منه على عظم المصيبة وضخامتها، وقد قصد بشق الريح ثيابها هيجانها وسرعتها، وهي صفة معلومة في الريح، بل إنها لا تمثل الخير، إنما تمثل الشر، وعليه فإن هيجانها ما هو إلا شر تمثل بنفي المعتمد، ثم إن نواح الرعد، وهديرها وصوتها المخيف، ينذر بالمطر، إذن فهو مقدمة للبكاء والحزن؛ لأن المطر عند الشاعر ما هو إلا دموع تنسكب حزنًا، وصوت الرعد ونواحه يسبق تلك الدموع.

ولعل من أبرز السمات الغالبة على صوره أيضًا، اتكاءه على أنواع الحواس، وصنوفها وما يرتبط بها، وينتج عنها، فتارة يلجأ إلى الصور اللونية المرتبطة بالبصر، وأخرى السمعية، ومرة الحركية وأخرى الشمية وهكذا، وقد اتخذ من هذه الصور الحسية أدوات تعينه في رسم خيالاته المتعلقة بالطبيعة، وربطها بما يريد التعبير عنه من رؤى، ومن ذلك قوله:[98]

وعلى فروعِ الأيكِ شادٍ يحتوي طربًا لآخر تحتويه الأضلع

لقد رسم صورة سمعية صوتية لذلك الطير الذي يغرد، ويشدو بصوته الجميل، مستقرًّا على أغصان الشجر، وقد أثار صوته الطرب لدى السامعين، ولعل كلمة (شادٍ)، وكلمة (طربًا) تجسدان الصوت والسمع في الصورة؛ إذ إنهما مرتبطتان بالصوت الذي يؤدي إلى

(94) ابن اللبانة الداني، الديوان، ص38.
(95) المصدر السابق، 127.
(96) ينظر: الصواف، شعر ابن اللبانة الداني_ دراسة وصفية تحليلية، ص211– 212.
(97) ابن اللبانة الداني، الديوان، ص126.
(98) ابن اللبانة الداني، الديوان، ص88.

السمع، وعليه فإن الشدو (الصوت) هو الذي يُسمع، وتكون نتيجته (الطرب)، ما يعكس قانون الفعل وردة الفعل، وهي ردة فعل جميلة؛ لأنها ناتجة عن فعل لطيف جميل.

ويوظف الشاعر مثل هذه الصور أيضًا في سياق مدحه، ليجعل الممدوح أيكة جميلة المنظر والمخبر، ويجعل صوته كصوت الحمام الأورق:[99]

ويقالُ إنّكَ أيكةٌ حتى إذا غنيتَ قيلَ هو الحمامُ الأورقُ

إنه يرسم صورة صوتية، تتمثل بغناء الممدوح، حيث إنه إذا ما غنّى، فإن صوته جميل، يشبه صوت الحمام الأورق، الذي "لونه بين السواد والغُبرة"[100]، وهو من أجمل ألوان الحمام، وقد استغل الشاعر صفة الجمال والطرب في صوته، ليسبغها على الممدوح، وهذه الصورة الصوتية ترتبط أيضًا بالسمع؛ لأن الصوت تكون نتيجته الحتمية سماع الناس له، إن الهدف الذي يسعى إليه الشاعر من تلك الصور، يتمثل بإضفاء صفة الجمال والرقة على صوت الممدوح، وتكون نتيجة سماعه من الآخرين، أن يصفوه بهديل الحمام الذي يمتلك جرسًا تطرب له الأذن.

وتأتي الصورة السمعية الصوتية مرتبطة بالحركة أيضًا:[101]

غنّته في شجرِ الأراكِ بلابلٌ فتحركتْ في الصّدرِ منه بلابلُ

فكلمة (غنته) وفاعلها (بلابل)، يوحيان بالصوت المسموع، وهو صوت جميل؛ لأن مصدره البلبل، الطائر المعروف بحسن صوته ورقته الذي يطرب النفوس عند سماعها له، ثم إن هذا الصوت أدى إلى نتيجة حدثت في صدر الشاعر، وهي الحركة، حركة الصدر بالهموم وحديث النفس، حيث إن صوت البلبل وتغريداته، حركت شجونه، فبدأ يحدث نفسه، وتعاوده ذكريات الأحباب:[102]

وتذكّرَ العهدَ القديمَ فشاقه وتذكّر الأحبابَ شغل شاغل

إن الصورة قد ارتكزت على عناصر (الصوت، والسمع والحركة)، وأسهمت متكاتفة في رسم صورة الشاعر الذي هاجت الذكريات في نفسه، وتحرك صدره بها، وكل ذلك ناتج عن صوت البلابل، وسماعه له.

أما الصور البصرية، فلم يغفلها ابن اللبانة؛ لما لها من "دور في نقل الأحداث المرئية إلى شعور المتلقي، فيتصور أنه يبصرها، كأنها شاخصة أمام ناظريه بجزيئاتها كلها"[103]، وقد استثمرها في أنساقه التصويرية، وجعل رؤيته للطبيعة ومظاهرها محركًا لها، مستغلًا تلك المناظر الخلابة، ليضفيها على ممدوحيه، حتى يكمل صورهم، ويتمم معانيه التي يريد أن يعبر عنها تجاههم، ومن ذلك قوله يمدح مبشرًا بن سليمان:[104]

وكأنّهُ قُزحٌ على أفقِ الضّحى وعلى جبينِ مبشرٍ إكليل

إن البصر يعشق النظر إلى قوس قزح بألوانه السبعة البهية، فهو من أجمل المظاهر الطبيعة التي خلقها الله_جلت قدرته_، فكيف إذا اقترن ظهوره بوقت الضحى، حيث تكون الرؤية واضحة، والشمس ساطعة، فينعكس نورها على ألوانه، فتنيرها، وتزداد جمالًا وضياء، ولعل الشاعر أراد أن يسبغ هذه الصورة البصرية على جبين ممدوحه المشرق الوضاح، وقد علاه تاج وإكليل مزركش ملوّن، كأنه قوس قزح ببهاء ألوانه ولمعانها، فكان البصر وسيلة مهمة لرسم هذه الصورة الفريدة لوجه الممدوح، ونور جبينه، وجمال إكليله.

(99) المصدر السابق، ص98.
(100) ابن منظور، لسان العرب، مادة (ورق).
(101) ابن اللبانة الداني، الديوان، ص112.
(102) ابن اللبانة الداني، الديوان، ص112.
(103) ينظر: خضر، فوزي، عناصر الإبداع الفني في شعر ابن زيدون، ص191.
(104) ابن اللبانة الداني، الديوان، ص117.

ويركز الشاعر على اللون في بعض صوره، ويمزجه بالصور البصرية، لتكون منسجمة مع رؤيته التي يقصد إليها:[105]

تُحييكَ حتّى الشّهب عنّي وقلّ لك فإنّكَ نورُ الشّمسِ تجلى في الحلك

يتجسد اللون في قوله (الحلك)، أي الأسود الحالك، المرتبط بظلمة الليل، إلا أن سطوع الشمس ونورها يبددان ذلك السواد والظلام، وتتعاضد الصورة البصرية لنور الشمس وللظلام مع الصورة اللونية، المتمثلة باللون الأسود، لكي يشكلان معًا صورة الممدوح الذي يشبه نور الشمس الذي يكشف الظلام وينهيه.

ويتكأ على اللون في تصويره خيل الممدوح، فيضفي عليها أجمل الألوان وأفضلها عند العرب:[106]

فكأنّما الإصباحُ تحتكَ أشقرٌ وكأنّما الإظلامُ تحتكَ أدهـــمُ

والخيلُ كانتْ تستريح من السُّرى لو لم يكنْ فوقَ البسيطةِ مُجرِمُ

إذ يتخذ جواد الممدوح لونه وصبغته من لون الصباح، في وقت السرى، أما إذا ما حلّ الظلام، فإنه يعتلي جوادًا أدهم، أخذ لونه من الظلام، فاللون يقوم بدور مهم في تشكيل الصورة؛ إذ إن الشاعر استمده من الطبيعة، المتمثلة بالصباح ونوره، والليل وظلمته، وأراد من ذلك كله أن يصور شجاعة الممدوح وفروسيته، حيث إنه يشغل خيله ليلًا ونهارًا، وصباحًا ومساء، ولا يهدأ حتى وقت السرى؛ لأن الأعداء لا يعرفون وقتًا معينًا لملاقاته، إنما قد يفاجئونه في كل حين، حتى في وقت استراحة الخيل (السرى).

ويلجأ ابن اللبانة إلى الصورة الشمية في بعض تشكيلاته التصويرية، فعندما يتغزل بامرأة، يجعل حديثها طيبًا، يستمتع به:[107]

وتكلّمتْ فكأنَّ طيبَ حديثها مُتّغثُ منه بطيبِ مسكٍ أذفر

لقد جاء بصورة من صور الطبيعة، تتمثل بالمسك ذي الرائحة العطرة البيّنة التي يفوح عبيرها في كل الأرجاء، ولجأ إلى المزج بين الصور الحسية؛ إذ ربط بين الصورة الصوتية والسمعية، المتمثلتين بصوت المحبوبة وكلامها، وسماع الشاعر ذلك الصوت الرخيم الجميل، وبين الصورة الشمية التي تصور طيب الحديث بطيب رائحة المسك، كأن هذا الحديث يفوح بروائح يعشقها الإنسان، ما يدل على أن صوتها رقيق، وحديثها طيب، لا تنطق إلا كلامًا رقيقًا معبرًا، بأسلوب يمتع السامع، كما تمتع رائحة المسك من يشتمها.

على أي حال، فقد شكلت الصورة المرتكزة على الطبيعة ومظاهرها عنصرًا مهمًا من عناصر البناء الفني في شعر ابن اللبانة، وكانت وسيلة لجأ إليها لتساعده في تشكيل أنساقه التصويرية في أغراضه الشعرية كالمديح، والغزل، والرثاء وغيرها، إضافة إلى تخصيصها بأغراض مستقلة خاصة بها، وقد نبعت تلك الصور من مصدر واحد، يتمثل بعناصر الطبيعة المحيطة بالشاعر، ومزجها بتجاربه، وذاتيته التي لا تنفك عن الطبيعة بأي حال من الأحوال؛ لكونها تعكس مشاعره الخاصة، وانفعالاته، وأحاسيسه، وعواطفه التي يجسدها من خلال الربط بين ذاتيته في المدح، والغزل والرثاء، وبين عناصر الطبيعة الغنية التي تهيأ له السبل المساعدة لرسم صوره، والتعبير عن رؤاه وأفكاره، كل ذلك من خلال لغة قادرة على التعبير عمّا يجول في خاطره، فضلًا عن إضفائها سمات الذوقية، والجمال والشاعرية على النصوص.

وقد استثمر ابن اللبانة كل الأدوات والآليات التي تجعله قادرًا على تصوير الطبيعة، ومزجها بأغراضه وبأفكاره، كالرمز الذي يتيح له تعدد الدلالات، من خلال الإيحاء والإشارة، والتشخيص أو الأنسنة التي تمنحه المساحة الكافية، والقدرة الواسعة على تشكيل عناصر الطبيعة، وربطها بالإنسان وصفاته، وعلوم البلاغة كالتشبيه، والاستعارة اللذين يسهلان له عملية التصوير، وربط التشبيهات ببعضها، عبر روابط تقترب من حيث الحقيقة أو المجاز بين المتشابهين، فضلًا عن استعانته بالحواس، وما يرتبط بها من شم، وسمع، وصوت، وبصر، وحركة، ولون وغير ذلك، ما أتاح له تكثيف الصور المرتبطة بالطبيعة وانعكاساتها، من خلال

(105) المصدر السابق، ص103.

(106) ابن اللبانة الداني، الديوان، ص129.

(107) المصدر السابق، ص74.

هذه الخواص التي تمنح الصور الحيوية، والنشاط والفاعلية؛ لكونها تحرك الوجدان والنفوس، وتجعلها منجذبة إليها، لرقتها ولعذوبتها، إذا ما اقترنت بالتعابير اللطيفة المعبرة عن الإحساس المرهف، والمشاعر الجياشة في نفس الشاعر.

الخاتمة

أبدع ابن اللبانة في استثمار الطبيعة وعناصرها في سياقات أغراضه الشعرية الأخرى، أو إفرادها بقصائد ومقطوعات شعرية مستقلة، وقد سعت هذه الدراسة إلى إلقاء الضوء على ذلك، وعالجت أشعاره فيها موضوعيًّا وفنيًّا، وخلصت إلى النتائج التالية:

أولًا: برع ابن اللبانة بوصف الطبيعة ومظاهرها، شأنه شأن كثير من شعراء الأندلس، وقد أحاط بعدد كبير من عناصر الطبيعة المحيطة به، سواء أكانت الصامتة كالربيع، والماء، والسماء، والليل وغيرها، أم الصائتة كالحيوانات، والطيور وغيرها.

ثانيًا: نجح ابن اللبانة في مزجه الطبيعة بأغراضه الأخرى، فغدت تلك الطبيعة معينًا له في تجسيد أفكاره، ورؤاه وتجاربه، تجاه الإنسان وموجودات الحياة.

ثالثًا: أفرد ابن اللبانة قصائد ومقطوعات شعرية مستقلة، وصف فيها الطبيعة وبعض عناصرها، ما يدل على أنه قادر على رسم صور متفردة لها، بعيدًا عن مزجها بالأغراض الأخرى، وأنه محيط بدقائقها، ولا غرابة في هذا، فهو ابن بيئته، ويستطيع بحسه الشعري المرهف أن يتمثل تلك البيئة، ويخصصها بنظمه.

رابعًا: تعد الطبيعة مصدرًا مهمًّا من مصادر الصورة الشعرية لدى ابن اللبانة، إذ غدت وسيلة مساعدة له في رسم صور لممدوحيه ومرثييه ومَنْ تغزل بهم، من خلال عقد تشبيهات بينها وبينهم، وتصويرهم من خلالها.

خامسًا: استثمر ابن اللبانة عناصر أسلوبية وبنائية كثيرة، كالتشخيص والأنسنة، والاستعانة بالحواس؛ لكي يستطيع التعبير بالصورة الطبيعية عمّا يجول في نفسه من أفكار ورؤى.

المصادر والمراجع

ابن الأبار، أبو عبدالله محمد بن أبي بكر القضاعي. (د.ت). *الحلة السيراء*. تحقيق: حسين مؤنس. ط1. القاهرة: الشركة العربية للطباعة والنشر.

إسماعيل، عز الدين. (1978م). *الشعر العربي المعاصر، قضاياه، وظواهره الفنية والمعنوية*. ط3. القاهرة: دار الفكر العربي.

امرؤ القيس، امرؤ القيس بن حجر بن آكل المرار. (د.ت). *الديوان*. ط4. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. القاهرة: دار المعارف.

ابن بسام الشنتريني، أبو الحسن علي بن بسام. (1997م). *الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة*. تحقيق: إحسان عباس. (د.ط). بيروت: دار الثقافة.

ابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبدالملك. (1966م). *كتاب الصلة*. (د.ط). مصر: الدار المصرية للتأليف والترجمة.

الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر. (1914م). *التاج في أخلاق الملوك*. ط1. تحقيق: أحمد زكي باشا. القاهرة: المطبعة الأميرية.

ابن خاقان، أبو نصر الفتح بن محمد. (1989م). *قلائد العقيان ومحاسن الأعيان*. تحقيق: حسين خريوش. ط1. الأردن: مكتبة المنار.

خضر، حازم عبدالله. (1987م). *وصف الحيوان في الشعر الأندلسي_ عصر الطوائف والمرابطين*. (د.ط). بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة.

خضر، فوزي. (2004م). *عناصر الإبداع الفني في شعر ابن زيدون*. ط1. الكويت: مؤسسة البابطين.

ابن خفاجة، أبو إسحاق إبراهيم بن خفاجة الأندلسي. (1960م). *الديوان*. تحقيق: السيد غازي. ط1. الإسكندرية: منشأة المعارف.

خليل، عودة. (1987م). *الصورة الفنية في شعر ذي الرمة* (أطروحة دكتوراه). جامعة القاهرة، القاهرة.

ابن دحية، أبو الخطاب عمر بن حسن. (1954م). *المطرب من أشعار أهل المغرب*. (د.ط). تحقيق: إبراهيم الأبياري وحامد عبدالمجيد وأحمد بدوي. القاهرة: المطبعة الأميرية.

الرباعي، عبدالقادر. (1979م). الصورة في النقد الأوروبي، محاولة لتطبيقها على شعرنا القديم. *مجلة المعرفة*، ع204، السنة السابعة عشرة، شباط، (ص27– 70). دمشق: وزارة الثقافة والإرشاد القومي.

الركابي، جودت. (1972م). *الطبيعة في الشعر الأندلسي*. ط1. دمشق: مطبعة الترقي.

ابن سعيد، أبو الحسن علي بن سعيد المغربي. (1964م). *المغرب في حلى المغرب*. تحقيق: شوقي ضيف. ط2. مصر: دار المعارف.

الصواف، عواطف. (1997م). *شعر ابن اللبانة الداني _ دراسة وصفية تحليلية* (رسالة ماجستير). جامعة أم القرى، السعودية.

العامري، محمد بشير. (2015م). *التفاعل الحضاري بين أهل الأندلس والمسلمين والإسبان النصارى في القرون الوسطى*. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن عِذاري، أبو العباس أحمد بن عِذاري المراكشي. (1983م). *البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب*. تحقيق: ج.س. كولان وليفي بروفنسال. ط3. بيروت: دار الثقافة.

العشماوي، محمد زكي. (1979م). *قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث*. (د.ط). بيروت: دار النهضة العربية.

عصفور، جابر. (1992م). *الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب*. ط3. بيروت: المركز الثقافي العربي.

العماد الأصفهاني، أبو عبدالله محمد بن حامد. (1986م). *خريدة القصر وجريدة العصر*. قسم شعراء المغرب والأندلس. ط2. تحقيق: آذرتاش آذرنوش. نقحه وزاد عليه: محمد المطوي والجيلاني يحيى ومحمد المرزوقي. تونس: الدار التونسية للنشر.

عمر بن أبي ربيعة، أبو الخطاب عمر بن عبدالله المخزومي. (1995م). *الديوان*. (د.ط). تحقيق: محمد عبدالمنعم خفاجي وعبدالعزيز شرف. القاهرة: المكتبة الأزهرية للتراث.

عنان، محمد عبدالله. (1997م). *دولة الإسلام في الأندلس، العصر الثاني (دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي)*. ط4. القاهرة: مكتبة الخانجي.

القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر. (2006م). *الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان*. ط1. تحقيق: عبدالله بن عبدالمحسن التركي. بيروت: مؤسسة الرسالة.

القط، عبدالقادر. (1978م). *الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر*. (د.ط). القاهرة: مكتبة الشباب.

ابن اللبانة الداني، أبو بكر محمد بن عيسى اللخمي الأندلسي. (2008م). *الديوان*. تحقيق: محمد مجيد السعيد. ط2. عمان: دار الراية للنشر والتوزيع.

المراكشي، عبدالواحد بن علي. (1949م). *المعجب في تلخيص أخبار المغرب*. تحقيق: محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي. ط1. القاهرة: مطبعة الاستقامة.

المقري، أحمد بن محمد التلمساني. (1968م). *نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب*. تحقيق: إحسان عباس. (د.ط). بيروت: دار صادر.

ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين بن مكرم الإفريقي. (د.ت). *لسان العرب*. (د.ط). بيروت: دار صادر.

نوفل، سيد. (د.ت). *شعر الطبيعة في الأدب العربي*. ط2. مصر: دار المعارف.

ابن هذيل الأندلسي، علي بن عبدالرحمن. (2001م). *حلية الفرسان وشعار الشجعان*. ط1. الإمارات: مركز زايد للتراث.

ياقوت الحموي، شهاب الدين ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي البغدادي. (1977م). *معجم البلدان*. (د.ط). بيروت: دار صادر.

قائمة المراجع المرومنة:

Al-Amiri, M. (2015). The civilizational interaction between the people of Andalusia, the Muslims, and the Christian Spanish in the Middle Ages (in Arabic). 1st ed. Beirut: House of Scientific Books.

Al-Emad Al-Asfahani, M. (1986). Pearl Age and Age Newspaper. Department of the poets of Morocco and Andalusia (in Arabic). Investigation by: Azarnach. It was revised and added to by: Muhammad Al-Mutawi, Al-Jilani Yahya and Muhammad Al-Marzouki. 2nd ed. Tunisia: Tunisian Publishing House.

Al-Jahiz, A. (1914). The crown is in the morals of royalty (in Arabic). Investigation by: Ahmed Zaki Pasha. 1st ed. Cairo: The Princely Press.

Al-Maqri, A. (1968). Bringing his good branch of Al-Andalus Alrtaib (in Arabic). Investigation by: Ihsan Abbas. Beirut: Sader House.

Al-Marrakchi, A. (1949). Admirer in summarizing news Morocco (in Arabic). Investigation by: Muhammad Saeed Al-Erian and Muhammad Al-Arabi Al-Alami. 1st ed. Cairo: Al-Istiqama Press.

Al Qot, A. (1978). Emotional trend in contemporary Arabic poetry (in Arabic). Cairo: Youth Library.

Al-Qurtubi, M. (2006). All-inclusive of the provisions of the Qur'an and clarifying what it contains from the Prophetic Tradition and Verses of the Criterion (in Arabic). Investigation by: Abdullah bin Abdul-Mohsen Al-Turki. 1st ed. Beirut: The Message Foundation.

Annan, M. (1997). The state of Islam in Andalusia, the second era (the states of the Sects and from their founding until the Almoravids conquest) (in Arabic). 4th ed. Cairo: Al-Khanji Library.

Asfour, J. (1992). The artistic image in the critical and rhetorical heritage of the Arabs (in Arabic). 3rd ed. Beirut: Arab Cultural Center.

Ashmawi, M. (1979). Issues of literary criticism between the ancient and the modern (in Arabic). Beirut: Arab Renaissance House.

Ibn Al-Abar, M. Hilla Alsira (in Arabic). Investigation by: Hussein Mo'nis. 1st ed. Cairo: The Arab Company for Printing and Publishing.

Ibn Al-Labanah al-Dani, M. (2008). Al-Diwan (in Arabic). Investigation by: Muhammad Majeed Al-Saeed. 2nd ed. Amman: Arraya House for Publishing and Distribution.

Ibn Athari, A. (1983). Statement Morocco in the news of Andalusia and Morocco (in Arabic). Investigation by: J.S. Colan & Levi Provencal. 3rd ed. Beirut: House of Culture.

Ibn Bashkawal, K. (1966). Relevance book (in Arabic). Egypt: The Egyptian House for Authorship and Translation.

Ibn Bassam Al-Shantrini, A. (1997). Ammunition in the beauties of the people of the island (in Arabic). Investigation by: Ihsan Abbas. Beirut: House of Culture.

Ibn Dahia, O. (1954). The singer is one of the poems of the people of Morocco (in Arabic). Investigation by: Ibrahim Al-Abyari, Hamed Abdel-Majeed and Ahmed Badawi. Cairo: The Princely Press.

Ibn Hadhil Al-Andalusi, A. (2001). Knights ornament and the emblem of the brave (in Arabic). 1st ed. Emirates: Zayed Heritage Center.

Ibn Khafajah, I. (1960). Al-Diwan (in Arabic). Investigation by: Assyd Ghazi. 1st ed. Alexandria: Knowledge Facility.

Ibn Khaqan, F. (1989). Aqiqan necklaces and the merits of the notables (in Arabic). Investigation by: Hussein Khryouch. 1st ed. Jordan: Al-Manar Library.

Ibn Manzoor, J. Arabes Tong (in Arabic). Beirut: Sader House.

Ibn Said, A. (1964). Morocco in the sweetness of Morocco (in Arabic). Investigation by: Shawky Deif. 2nd ed. Egypt: Knowledge House.

Imru al-Qais, I. Al-Diwan (in Arabic). Investigation by: Muhammad Abu al-Fadl Ibrahim. 4th ed. Cairo: House of Knowledge.

Ismail, E. (1978). Contemporary Arabic poetry, its issues, and its artistic and moral phenomena (in Arabic). 3rd ed. Cairo: The Arab Thought House.

Khader, F. (2004). Elements of artistic creativity in the poetry of Ibn Zaidoun (in Arabic). 1st ed. Kuwait: Al-Babtain Foundation.

Khader, H. (1987). Description of the animal in Andalusian poetry - the era of Sects and The Almoravids (in Arabic). Baghdad: General Cultural Affairs House.

Khalil, O. (1987). The artistic Image in the poetry of Dhul-Ramah (in Arabic) (PhD thesis). Cairo University, Cairo.

Naufal, S. Nature poetry in Arabic literature (in Arabic). 2nd ed. Egypt: Al Maaref House.

Omar bin Abi Rabi'a, O. (1995). Al-Diwan (in Arabic). Investigated by: Muhammad Abdel Moneim Khafaji and Abdulaziz Sharaf. Cairo: Al-Azhar Library for Heritage.

Rikabi, J. (1972). Nature in Andalusian poetry (in Arabic). 1st ed. Damascus: Promotion Press.

Rubai, A. (1979). The image is in European criticism, an attempt to apply it to our ancient poetry (in Arabic). Knowledge Magazine, Number 204, Seventeenth Year, February, (pp 27-70). Damascus: Ministry of Culture and National Guidance.

Sawwaf, A. (1997). Ibn al-Labana's proximate poetry _ an analytical descriptive study (in Arabic) (Master Thesis). Umm Al-Qura University, Saudi Arabia.

Yaqoot al-Hamwi, S. (1977). A dictionary of countries (in Arabic). Beirut: Sader House.